

# جابر بن حيان

## مدرسة كيميائية أسست العلم الحديث

تأليف الدكتور

**خالد أحمد حسنين علي حربي**

جامعة الإسكندرية

2014



دار الكتب والوثائق القومية	
عنوان المصنف	جابر بن حيان مدرسة كيميائية أسست العلم الحديث.
اسم المؤلف	خالد أحمد حسنين حربي.
اسم الناشر	المكتب الجامعي الحديث.
رقم الإيداع	2012/16185
الترقيم الدولي	9-312-438-977-978.
تاريخ الطبعة	الأولى يوليو 2013.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ  
قَالَ أَنْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ  
عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا

اسْتَطَعُوا لَهُ، نَقَّبَا ﴿٩٧﴾﴾

(الكهف 96- 97)





## مقدمة

الحمد لله الذى علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على معلم البشرية سبيل الهداية الربانية، وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين، .. وبعد:

يُعد علم الكيمياء من العلوم التى شغلت أفكار العلماء فى مختلف الحضارات الإنسانية المعروفة قبل الحضارة الإسلامية، لكن لايسطيع الباحث فى تاريخ الحضارات أن يتلمس الكيمياء كعلم له أصوله ومناهجه فى تلك الحضارات، وإنما يجد بعض المحاولات الكيميائية المتواضعة، وبعض الكتابات النظرية القائمة على التأمل العقلى والمرتبطة بالسحر والطلاسم.

أما الحضارة الإسلامية فتُعد مرحلة فاصلة فيما قبلها وما بعدها فى تاريخ علم الكيمياء، حيث شهد العالم الإسلامى فى العصور الإسلامية (الوسطى) نهضة علمية غير مسبوقة ازدهرت وتقدمت على أثرها كل العلوم والمعارف المعروفة عصرئذ. ومن بين هذه العلوم ، علم الكيمياء الذى أسسه المسلمون، فيتفق - بحسب هولميارد - علماء الكيمياء فى المعمورة على أن المسلمين هم مؤسسى الكيمياء كعلم يعتمد على التجربة. وفى الحقيقة فإن علماء المسلمين هم الذين أوجدوا من علم الكيمياء منهجا استقرائيا سليما يستند على الملاحظة الحسية والتجربة العلمية وهم الذين استطاعوا أن يستخدموا الموازين والآلات والمكاييل لقصد الدقة والضبط. ونتيجة للجهود العظيمة التى قام بها علماء المسلمين - على رأى ول ديورانت - بدأت الكيمياء تأخذ صورة علم حقيقى، فهم أول من طبق الوسائل العلمية على الظواهر الكيميائية، إذ أدخلوا التجربة الموضوعية فى دراسة الكيمياء. وهذه فى الحقيقة

خطوة جيدة، بل حاسمة نحو التقدم عما كانت عليه الكيمياء عند اليونان من فروض مبهمه. وعندما نتكلم عن علماء الكيمياء في الحضارة الإسلامية - كما يقول رام لاندو - لا يسعنا إلا أن نقول أنهم قاموا بتجارب علمية مخبرية إلى حد مكنهم من القيام بعدد من الإكتشافات الكيميائية المهمة التي خدمت الحضارة. فالكيمياء التجريبية - بحسب أدوار ثورب - مصدرها علماء المسلمين. هؤلاء الذين وصلوا - على حد تعبير جوستاف لويون - إلى مستوى رفيع في علم الكيمياء، وإن كانت هناك شريحة من المؤرخين يرون أن لافوازيه هو واضع علم الكيمياء، فقد نسوا ما قام به علماء المسلمين من تجهيز للمختبرات من أدوات وغيرها، وما وصلوا إليه من إكتشافات لولاها ما استطاع لافوازيه أن ينتهي إلى إكتشافاته المرموقة. كما أن روجيه باكون - على رأى سى برانتل - أخذ كل النتائج المنسوبة إليه في العلوم الطبيعية، ومنها الكيمياء من المسلمين .

وهكذا يعترف المنصفون من علماء الغرب بأن علم الكيمياء أسسه المسلمون ووضعوا أصوله ومناهجه العلمية.

ويُعد جابر بن حيان الأزدي الرائد الأول لعلم الكيمياء وشيخ الكيميائيين المسلمين، اطلع على، ودرس محاولات من سبقوه من الكيميائيين وخاصة خالد ابن يزيد بن معاوية، وجعفر الصادق، إلى جانب اطلاعه على تراث الأمم الأخرى في الكيمياء الذي ترجم إلى اللغة العربية. وبدأت انطلاقة جابر بعد دراسة وتمحيص الدراسات الكيميائية السابقة عليه ونقدها وخاصة الفكر اليوناني الذي اعتمد جابر على أحد نظرياته وهي نظرية الطبائع الأربع الأولية التي نشأت بمقتضاها الكائنات جميعاً، وفكرة تحويل المعادن، لكنه سينتهي إلى نتائج علمية تختلف بالنوع والكيف عن الفكر اليوناني، حيث أسهم

جابر فى بناء المنهج التجريبي فى مقابل المنهج العقلى اليونانى. وبتطبيق هذا المنهج أرسى قواعد علم الكيمياء، ووصل به حداً جعل كل من أتوا بعده تلاميذ فى مدرسته الكيميائية التى أسسها وامتد أثرها إلى العصر الحديث .

وتحت هذا العنوان: "جابر بن حيان مدرسة كيميائية أسست العلم الحديث" تبحث هذه الدراسة محاولة الإجابة على بعض التساؤلات التى تطرحها وهى:

- كيف نشأ جابر بن حيان، وما أثر نشأته فى توجهه العلمى؟
- ما البنية المعرفية والمنهجية التى أسست فكره، وانطق منها إلى الإبداع والإبتكار؟
- ما المنهج الذى اتبعه جابر بن حيان للوصول إلى ما وصل إليه من إنجازات؟
- ما مدى تأثير جابر كعالم فى تلامذته وعلماء عصره، وما خصائص التقاليد العلمية التى أرساها وشكلت مدرسة علمية امتدت إلى الأجيال العلمية اللاحقة؟
- ما حجم الإنجازات الكيميائية التى أتى بها ودورها فى تأسيس المدرسة العلمية الممتدة، وتأسيس علم الكيمياء؟

تساؤلات منهجية وجوهرية تحاول هذه الدراسة أن تجيب عليها.

الله أسأل أن يُنتفع بعملى هذا فهو تعالى من وراء القصد وعليه التكلان وإليه المرجع والمآب.

خالد أحمد حربى



## الفصل الأول

نشأة جابر والبنية المعرفية في فكره

\_\_\_\_\_

أبو عبد الله جابر بن حيان بن عبد الله الأزدي، المكنى بأبي موسى، ولد في طوس من أعمال خراسان، وإذا كانت المصادر العربية<sup>(1)</sup> لم تحدد تاريخ ميلاد جابر على وجه الدقة، فإن هولميارد الذي اهتم بدراسة جابر في كتابه "الكيمياء إلى عصر دالتون" قد رجح أن حياته قد امتدت خلال الشطر الأكبر من القرن الثامن الميلادي<sup>(2)</sup>. وهذا الشطر يقابله التاريخ الهجري (123-184هـ) تقريباً ويؤيد ذلك رأى النشار القائل بأنه من المحتمل أن جابراً قد توفي بعد 160هـ<sup>(3)</sup>.

وبناء على ذلك يصعب على تصديق رأى حاجي خليفة الزاعم بأن جابراً قد تتلمذ على خالد بن يزيد بن معاوية، إذ يقول: "أول من تكلم في علم الكيمياء ووضع فيها الكتب وبين صناعة الأكسير والميزان ونظر في كتب الفلاسفة من أهل الإسلام خالد بن يزيد بن معاوية. وأول من اشتهر هذا العلم عنه جابر بن حيان الصوفي من تلامذة خالد<sup>(4)</sup>. وتأتى صعوبة قبول رأى حاجي خليفة هذا من أن خالداً قد توفي عام 85هـ، أى قبل أن يولد جابر بن حيان، وذلك على افتراض صحة ما رجحته عن تاريخ ميلاد جابر ووفاته.

---

(1) مثل الفهرست لابن النديم، طبعة القاهرة 1948، ص 498-500، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، طبعة القاهرة 1326هـ، ص 111.

(2) Holmyard, E, J: chemistry to the time of Dalton, London 1965. P15.

(3) على سامى النشار، مناهج البحث عند مفكرى الإسلام، واكتشاف المنهج العلمى فى العالم الإسلامى، دار المعارف بمصر، 1965، ص 356.

(4) كشف الظنون، عن أسامى الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت 1992، ج 2، ص 153.

وقد نشأ جابر في أسرة تشجع على العلم والبحث والدرس حيث كان أبوه حيّان من المشتغلين بالعقائر ويعمل صيدلاناً في الكوفة. وقد سافر مرة إلى طوس في مهمة سياسية سرية خاصة بالدعوة للعباسيين الذين كانوا يعملون في الخفاء لأسقاط الخلافة الأموية، وفي طوس ولد جابر، ولما أدرك الأمويون ما يقوم به حيّان في بلاد فارس لصالح العباسيين، قبضوا عليه وأعدموه، ورجعت أسرته إلى قبيلتها أزد اليمانية، وهناك ترعرع جابر وتلمذ على أستاذ يدعى حربى الحميرى، فحفظ القرآن واتقن اللغة العربية والحساب، ثم ذهب إلى الكوفة بعد وصول العباسيين للخلافة. وقد ورث جابر عن أبيه الاهتمام بالعلم والسياسة، فبدأ بالبحث ونجح في الفوز بصداقة مجموعة من العلماء في ذلك العصر، وعلى رأسهم جعفر الصادق الذي تلمذ عليه فكان ذلك وسابق خدمة أبيه للعباسيين من العوامل التي جعلت لجابر مكانة في بلاط هارون الرشيد في بغداد، وخاصة لدى وزرائه البرامكة.

وهكذا نجح جابر في أولى خطواته في المجالين العلمي والسياسي. الأمر الذي ساعده في تهيئة الأجواء المناسبة لممارسة النشاط العلمي وذلك من خلال نشاطه الجماعي الذي يستجيب على أثره لحاجات من حوله من أساتذة وأصدقاء من أهل العلم أو السياسة.

أما عن البنية المعرفية في فكره، فقد نشأ جابر بن حيّان في عصر كان يولى اهتماماً كبيراً بالترجمة عن الأمم الأخرى، ولا سيما اليونان القدماء. ومع هذا فإن حماسة العرب في نقل تراث الأوائل إلى لغتهم وإعجابهم بفلسفة أرسطو وطب ابقرائط وجالينوس وفلك بطليموس وصيدلة ديسقوريدس، كل هذا لم يمنع العقل العربي من أن يكون حراً في نقد الآثار التي تستهويه



وتمحيص حقائقها والكشف عما يحتمل أن تتضمنه من زيف أو بطلان<sup>(1)</sup>. فلم يكن جابر - كغيره من العلماء المسلمين - مجرد ناقل عن الذين ترجموا من اليونانية إلى العربية، لكنه بعد أن درس العلم اليوناني واستوعبه ونقده استطاع أن يضيف إليه من إبداعات عقله العربي الإسلامي ففي كتاب "إخراج ما فى القوة إلى الفعل عالج مفهوم القوة والفعل اليوناني من خلال ابداعاته الخاصة، فسبب كون الفعل وجود ما فى القوة، فالقوة إذن مادة الفعل. والقوة طبيعة الفعل لاغير، والفعل منفعل الطبيعة التى هى القوة<sup>(2)</sup>. وشرح جابر بالأمثلة ما يخرج من القوة إلى الفعل، وما يمنع، وما يمكن، وكذلك أخذ جابر فكرة الكيفيات الأربع اليونانية (الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة) وعالجها من خلال رؤيته الخاصة<sup>(3)</sup> ومن ذلك وصفه للكواكب، فالحارة إذا حلت فى

- 
- (1) توفيق الطويل، فى تراثنا العربى الإسلامى، عالم المعرفة الكويت 1985، ص32.
- (2) جابر بن حيان، إخراج فى القوة إلى الفعل، مختار كراوس، القاهرة، 1354هـ، ص4.
- (3) يقول جابر: إن الله تبارك وتعالى لما خلق الفلك، خلق فيه هذه العناصر الأربعة التى هى النار والماء والهواء والأرض، والأصول الأول الأربع وهى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، فإثنان منها فاعلان وأثنان منفعلان للفاعلين. فالحرارة فاعلة ومنفعلها من الأربع اليبوسة، والبرودة فاعلة ومنفعلها من الأربع الرطوبة، والبرودة والحرارة لا يجتمعان فى موضع بة، وإذا حلا فى جسم حل أحدهما فيه بعد الآخر فكان مقابله. وكذلك القول فى الرطوبة واليبوسة كالقول فى الحرارة البرودة. فإن علقت الحرارة باليبوسة كانت النار، وعلى قدر ما يحل فى الجسم من الحرارة واليبوسة يكون ذلك الشئ أى هو فى طبع النار أو دون ذلك إلا أنه من جنسها. وإن استعملت الحرارة الرطوبة صار الهواء أولاً، فإن كان فى غيره فهو فى طبع الهواء، أى من هذه الموجودات وعلى قدر ما يحل فى كل جسم من هذه العناصر يكون قرب ذلك الجسم إلى ذلك العنصر، ويكون ذلك العنصر أصل له. والحرارة لاتستعمل البرودة أبداً، وكذلك=

البروج الحارة ، كان قرين الحرارة اليبوسة وكان عنها ثوران النيران والزيادة والنقصان في مادتها وحماء الزمان - وهو المسمى القيظ - وجفاف الشجر والنبات ويبس الأشياء وحماؤها وثوران الصفراء في الأجسام ... واحتراق الألوان، وسُمرّة الصغار الذين في الأرحام وسوادهم، ونقصان المياه .. وهبوب الرياح الوبيئة المحرقة والمتلونة كالريح الحمراء والصفراء، وتلهّب البحر وانعقاد الحجارة الشريفة كالكبريت والياقوت وما أشبه ذلك<sup>(1)</sup> .

فمن خلال الفكرة اليونانية استطاع جابر استنتاج العديد من المشاهدات مثل جفاف النبات، ويبس الأشياء، واختلاف لون البشرة عند بنى الإنسان، وهبوب الرياح وأسبابها، وثورة البراكين.

ويعتبر كتاب "الأحجار على رأى بليناس" من أوضح الدلائل على تأثر جابر باليونان، إذ عرض لكلام بليناس في الموازين "واستخرج ما يُحتاج إليه

---

=البرودة لاتستعمل الحرارة أبداً. فأما استعمال البرودة، فتستعمل أولاً الرطوبة، فيكون الماء وجميع الأشياء التى هي فى طبع الماء، وذلك على قدر ما استعملت الجسم وعلق الجسم بها يكون مقدارها من البرودة والرطوبة. وأما استعمال البرودة لليبوسة فإنما أول ما تركب منها الأرض وجميع ماكان على طبع الأرض. ثم أنه بعد ذلك لما امتزجت هذه الأصول واختلطت، رد الأشياء إلى كيانها، فعمل المذابات، ثم الزم الطبيعة الطبخ الدائم، فعمل المذابة أولاً وهى على شكل كرة تدور، ثم أوقد وقوداً فى الحفر الذى تحت المذابة، وجعل فى المذابة الرصاص الأسرب أولاً، ولم يزل الطبخ يأخذه دائماً حتى أخرجه فضةً بيضاء، ثم أخذه الطبخ أيضاً حتى أخرجه ذهباً، ثم كذلك دبر القلنسى والحديد والنحاس حتى عملها كلها (راجع، جابر بن حيان، كتاب السبعين، مختار كراوس ص460، 464) .

(1) جابر بن حيان، إخراج ما فى القوة إلى الفعل، مختار كراوس، ص16-17 .

من هذه الموازين على رأيه فى جميع الأشياء<sup>(1)</sup> أولاً، ثم تعرض بالنقد لهذه الآراء وقال: "إننا نرى فى الموازين رأياً غير رأى بليناس وليس لنا مخالف غيره"<sup>(2)</sup> إذ أن طريقة بليناس فى الموازين وإن كانت حسنة إلا أنها صعبة التحقيق. "ومن أحب طريقنا فهو أسهل وأنقص لأنه قريب من التحقيق"<sup>(3)</sup>. وبهذه الطريق الذى سماها جابر "الميزان" أستطاع أن يتوصل إلى الأوزان النوعية للمعادن والمواد الكيماوية.

وفى الكتاب الذى وضعه الأستاذ "فاروه" عن "التركيب الكيماوى لبعض العملات العربية القديمة" نجد أن بعض الأدلة تشير إلى أن جابراً قد عرف الميزان الحساس ووصفه وصفاً دقيقاً<sup>(4)</sup> أفادت منه الأجيال اللاحقة بعد عهد جابر وحتى العصر الحديث الغربى.

ولم يكتف جابر بدراسة بليناس من اليونان، بل درس تراث أرسطو، وعلوم غيره من الإغريق، كما قرأ فرافريوس، ودرس افلاطون وجالينوس واقليدس وبطليموس، ودرس نظريات أرشميدس، وليس فى كتب الحضارة الإسلامية عن الكيمياء كتب مثل كتب جابر تكشف عن المعرفة الواسعة يتصانيف القدماء وتمتاز بهذه الإحاطة الموسوعية<sup>(5)</sup>. تلك التى تشير إلى إلمام

---

(1) جابر بن حيان، كتاب الأحجار على رأى بليناس، مختار كراوس، ص129 .

(2) جابر بن حيان، نفس المصدر، ص137 .

(3) جابر بن حيان، نفس المصدر، ص138 .

(4) S. Farroh, E, R, The Chemical composition of some Ancient Arabic cons, caley. Bull of the college of science 1965, Vol 8, P.61.

(5) دائرة المعارف الإسلامية، تحرير لجنة الترجمة والتأليف والنشر، 1932، مادة جابر

بن حيان.

جابر بلغات كثيرة غير العربية، ساقه إلى تعلمها شغفه بمعرفة صناعة الكيمياء عند أصحاب هذه اللغات كما يقول<sup>(1)</sup>: أنا نجد الأحجار السبعة التى هى قانون الصنعة يُعبر عنها باللغة العربية أنها الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والزئبق والأسرب، ووجدنا ما يعبر عنها باللسان الرومى بأن يقال للذهب رصافى، وللفضة اسمى، وللنحاس هرkra، وللحديد سيداريا وللرصاص قسدروا، وللزئبق برسرى، وللأسرب رو. ووجدت هذه الأحجار باللسان الإسكندراني (الرومانى) فيسمون الذهب قربا، والفضة كوما، والنحاس جوما، والحديد ملكا، والرصاص سلسا، والزئبق خبتا، والأسرب قدرا، ووجدت الفرس يدعون الذهب زر، والفضة سيم، والنحاس رو، والحديد آهن، والرصاص ارزيز كلهى، والزئبق جيبا، والأسرب ارزيز نلل. ولقد تعبت فى استخراج الحميرى تعباً ليس بالسهل، فوجدت الذهب فى لغتهم يدعى اوهممو، والفضة هلدوا، والنحاس وسقدر، والحديد بلهو كت، والرصاص سملاخو، والزئبق حوار ستق، والأسرب خسدعزا.

ولم يكن الأثر اليونانى وحده بمثابة البنية المعرفية التى انطلق منها جابر، بل نشأته الإسلامية أيضاً، ومن دلائل ذلك أنه قدم تفسيراً للمعجزات حيث يقول: "يكون ظهور المعجزات فى العالم لنهاية الاعتدال وتكافئ الطبائع فى الكمية والكيفية، فالكيفية للحر والبارد والرطب واليابس، والكمية تكافؤ الأقدار لئلا يكون أحدها غالباً للآخر<sup>(2)</sup>. وكذلك أثرت الثقافة الإسلامية على جابر فى محاولة التعرف على خصائص زمن الأنبياء والفلاسفة، فإن كانت

---

(1) جابر بن حيان، كتاب الحاصل، مختار كراوس، ص 535، 537 .

(2) جابر بن حيان، إخراج ما فى القوة إلى الفعل، ص 20 .

الكواكب الحارة الرطبة نازلة بالبروج الباردة اليابسة وقارب هذا فى الكون، فكان مثل زمان الفلاسفة واستخراج العلوم وأمثال ذلك. وإنما لم يُساو هذا الزمان ذلك الزمان لأن الإضافة إلى الحرارة فى الأول اليابوسة فهى أقوى للكون، وفى هذه الحال الحرارة ممتزجة للرطوبة فهى ضعيفة. والأول زمان الأنبياء الذين هم أتم أشكال الناس<sup>(1)</sup>.

وتبدأ انطلاقة جابر بعد قراءات واسعة وعميقة للفكر اليونانى والذى اعتمد على بعض نظرياته مثل فكرة "الطبائع الأربع الأولية" التى منها نشأت الكائنات جميعا، أو فكرة تحويل المعادن، ولكنه ستنهى إلى نتائج علمية نرى أنها تختلف بالنوع والكيف وليس بالدرجة عن الفكر اليونانى الذى بدأ منه، حيث اسهم فى بناء المنهج التجريبي فى مقابل المنهج التأملى العقلى الذى برع فيه اليونان، ذلك على ما سيتضح فى موضع لاحق.

كما أخذ جابر مادة الكيمياء من مدرسة الإسكندرية التى كانت تقول بإمكان انقلاب العناصر وتحويلها بعضها إلى بعض، وتعتبر مسألة إمكان علم الكيمياء فى العقل والفعل على حد سواء من أهم البنيات الأساسية التى دارت حولها معظم أبحاث جابر بن حيان

والكيمياء مقصود بها الوسائل التى يستطيع بها الكيميائى أن يبدل طبائع الأشياء تبديلا يحولها بعضها إلى بعض، وذلك إما بحذف بعض خصائصها أو بإضافة خصائص جديدة إليها، لأنه إن كانت الأشياء كلها ترتد إلى أصل واحد كان تنوعها راجعا إلى إختلاف فى نسب المقادير التى دخلت فى تكوينها، فليس

---

(1) جابر بن حيان، المصدر نفسه، ص 21 .

الذهب مثلاً يختلف عن الفضة في الأساس والجوهر، بل هما مختلفان في نسبة المزج، فإما زيادة هنا أو نقصان هناك، وما على العالم إلا أن يحلل كل منهما تحليلاً يهديه إلى تلك النسبة كما هي قائمة في كل منهما، وعندئذ يرسم أمامه الطريق واضحاً إذا أراد أن يغير من طبيعة هذا أو ذلك<sup>(1)</sup>.

وهكذا تصور جابر عدم استحالة قيام علم الكيمياء في مقابل امتناع وبطلان هذا العلم أصلاً عند بعض العلماء والمفكرين<sup>(2)</sup>. ويتعجب جابر من المنكرين للكيمياء بدعوى أن "العلم لا يصل إلى ما في الطبيعة"<sup>(3)</sup> متساءلاً: كيف لا يصل إلى الطبيعة، وهو يصل إلى ما بعد الطبيعة ويستخرجه<sup>(4)</sup>. والصناعة هي "نقى كل شئ لايشاكل وتألّف كل شئ يوافق وإصلاح الطبائع ومزاوجة الذكر منها بالأنثى وتعديلها بالحرارة والرطوبة واليبوسة بأوزان معلومة معتدلة"<sup>(5)</sup>. والبحث الحديث يتجه إلى إحلال النسب الكمية محل الخواص الكيفية في كل تفسيرات الوجود. فجابر يرى أن الطبائع تتغير. ولكي تتغير لابد وأن تفقد ماهيتها الكيفية كي تستحيل إلى ماهية أو طبيعة أخرى<sup>(6)</sup>.

---

(1) زكى نجيب محمود، جابر بن حيان، سلسلة الأعلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975، ص ص 45، 46.

(2) منهم: الكندي، وابن سينا، وتوسط الفارابي بين الإمكان والاستحالة فرأى - وفقاً لأرسطو - أن تحول الأشياء يتوقف على نوع صفاتها، فالذاتية يتعذر تحويلها، والعرضية يمكن تحويلها.

(3) جابر بن حيان، إخراج ما في القوة إلى العقل، ص 7.

(4) جابر بن حيان، نفس المصدر، نفس الصفحة.

(5) جابر بن حيان، كتاب الأحجار على رأى بليناس، ص 129.

(6) جابر بن حيان، كتاب الرحمة، نقلاً عن جلال موسى، منهج البحث العلمي عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط أولى، 1972، ص 121-122.

فالنحاس يمكن أن يخرج لك رصاص ويعود إلى النحاسية<sup>(1)</sup>. ولا يعرف ذلك إلا العالم الكيميائي التام الذي يستخرج ما في الطبيعة، وهذا صعب المنال على من لا علم له<sup>(2)</sup>. ويبرر جابر صعوبة علم الكيمياء على غير المتخصصين بأن للطبيعة أسراراً يمتنع أو يصعب خروجها على عامة الناس، إما لإختفائها عن الحواس، وإما للطافتها ودقتها. وكلا الحالين لا يمنحان العالم المتخصص من إخراج ما في القوة إلى الفعل<sup>(3)</sup>.

وعلى ذلك يتضح أن هناك فرقاً كبيراً جداً بين كيمياء جابر بن حيان والكيمياء القديمة.

فتتسم كيمياء جابر بالأعتماد كثيراً على التجربة واستبعاد الخوارق، فهي كيمياء ذات اتجاه عملي عقلي واضح يباعد بينها وبين الكيمياء القديمة التي كثيراً ما تلجأ إلى الرؤيا الوجدانية وتمعن في استخدام الخوارق في التفسير.

---

(1) جابر بن حيان، كتاب التجميع، مختار كراوس، ص 341 .

(2) جابر بن حيان، إخراج ما في القوة إلى الفعل، ص 7 .

(3) جابر بن حيان، إخراج ما في القوة إلى الفعل، ص 7- 8 .





## الفصل الثانى

مؤلفات جابر بين الوهم والحقيقة  
وبنيّة المدرسة العلمية



## أولاً - مؤلفات جابر بين الوهم والحقيقة :

بعد أن عدد ابن النديم مائة واثنى عشر كتاباً لجابر بن حيان<sup>(1)</sup>، يذكر أن له بعد ذلك سبعون كتاباً<sup>(2)</sup> وله بعد ذلك عشر مقالات تتلو هذه الكتب، وهى: كتاب مصححات فيثاغورث، كتاب مصححات سقراط، كتاب مصححات افلاطون، كتاب مصححات أرسطاطاليس، كتاب مصححات ارسنجانس، كتاب مصححات أركاغتنيس، كتاب مصححات ديمقريطس، كتاب مصححات حربى، كتاب مصححاتنا نحن<sup>(3)</sup>. ثم يتلو هذه عشرون كتاباً بأسمائها<sup>(4)</sup>. وبعد ذلك سبعة عشر كتاباً أولها: كتاب المبدأ بالرياضة، كتاب المدخل إلى الصناعة، كتاب التوقف، كتاب الثقة بصحة العلم، كتاب التوسط فى الصناعة .. الخ<sup>(5)</sup>. وبعد ذلك ينقل ابن النديم قولاً - مبالغ فيه من وجهة نظرى -

---

(1) منها: كتاب البيان، كتاب الترتيب، كتاب النور، كتاب الصبغ الأحمر، كتاب الروح، كتاب الملاغم الجوانية، كتاب الدم، كتاب الشعر، كتاب النبات، كتاب الأملاح، كتاب الأحجار، كتاب الحاوى، كتاب الأسطقس، كتاب الحيوان، كتاب الفقه، كتاب التدابير، كتاب الأسرار، كتاب المجردات، كتاب الطبيعة، كتاب ما بعد الطبيعة، كتاب مقدمة المعرفة ... الخ (الفهرست 500 - 501) .

(2) منها كتاب اللاهوت، كتاب الباب، كتاب الثلاثين كلمة، كتاب المنى، كتاب الهدى، كتاب الصفات، كتاب النشرة، كتاب البلاغة، كتاب الأشجار، كتاب الإكليل، كتاب الخلاص، كتاب الهيئة .. الخ (الفهرست 501) .

(3) الفهرست 502 .

(4) وهى كتاب الزمردة، كتاب الفاضل، كتاب الأنموذج، كتاب المهجة، كتاب سفر الأسرار، كتاب العبيد، كتاب العقيدة، كتاب البلورة، كتاب الساطع، كتاب الإشراق، كتاب المخايل، كتاب المسائل، كتاب التفاضل، كتاب التشابه، كتاب التمييز، كتاب الطهارة، كتاب الأعراض، (الفهرست 502) .

{5} الفهرست 503 .

يزعم أنه لجابر إذ يقول: قال أبو موسى (جابر) ألفت ثلاثمائة كتاب فى الفلسفة، وألف وثلاثمائة كتاب فى الحيل على مثال كتاب تقاطر(?)، وألف ثلاثمائة رسالة فى صنائع مجموعة وآلات الحرب، ثم ألفت فى الطب كتاباً عظيماً، وألفت كتباً صغاراً وكباراً، وألفت فى الطب نحو خمسمائة كتاب مثل كتاب المجسة والتشريح، ثم ألفت كتب المنطق على رأى أرسطاطاليس، ثم ألفت كتاب الزيج اللطيف نحو ثلاثمائة ورقة، كتاب شرح أقليدس، كتاب شرح المجسطي، كتاب المرايا، كتاب الجاروف الذى نقضه المتكلمون، وقد قيل أنه لأبى سعيد المصرى، ثم ألفت كتباً فى الزهد والمواعظ، وألفت كتباً فى العزائم كثيرة حسنة، وألفت كتباً فى النيرانجات، وألفت فى الأشياء التى يعمل بخواصها كتباً كثيرة، ثم ألفت بعد ذلك خمسمائة كتاب نقضا على الفلاسفة، ثم ألفت كتاباً فى الصنعة يعرف بكتاب الملك، وكتاباً يعرف بالرياض<sup>(1)</sup>.

وبناء على ذلك فإن جملة ما ألفه جابر من الكتب تبلغ أربعة آلاف كتاب تقريباً. ومن الواضح أن هذا العدد الضخم لا يستقيم مع العقل والمنطق بأية حال من الأحوال، إذ من أين أتى جابر بن حيان بالوقت اللازم لتأليف هذا العدد من الكتب، وهو قد عاش حوالى ستين سنة يقلون أو يزيدون قليلاً (123-184هـ تقريباً) وهنا يكون لدينا افتراضان: فإما أن يكون جابر قد بدأ التأليف منذ اليوم الأول من ميلاده إلى يوم وفاته فجاء إنتاجه الفكرى بمعدل كتابين فى اليوم الواحد!! وإما أن يكون جابر قد بدأ التأليف بعد مرحلة النضج الفكرى فجاء إنتاجه الفكرى بمعدل ستة مؤلفات فى اليوم الواحد. وكلا الفرضين ضرباً من الخيال الذى يرفضه العقل ويتناقض مع الطبيعة الإنسانية

---

(1) الفهرست 503 .

نفسها. وعلى ذلك يكون مذكروه ابن النديم على لسان جابر من قبيل التفقيقات الواضحة التي تنهار أمام أول نظرة ناقدة .

وبناء على ماسبق ذهب البعض إلى اعتبار جابر بن حيان شخصية أسطورية لا وجود لها، وأيضاً بناء على ما نقله ابن النديم من أن جماعة من أهل العلم وأكابر الوراقين قالوا إن جابراً لا أصل له ولا حقيقة، وبعضهم قال أنه ما صنف، وإن كان له حقيقة إلا كتاب الرحمة، وإن هذه المصنفات صنفها الناس ونحلوه إياها<sup>(1)</sup>.

ولكن ابن النديم يستنكر ذلك القول، ويصف من يتعب ويكد في تأليف كتبه ثم ينحلها لغيره بالجهل. ويؤكد ابن النديم حقيقة وجود جابر قائلاً: "وأي فائدة في هذا، وأي عائده؟ والرجل له حقيقة، وأمره أظهر وأشهر، وتصانيفه أعظم وأكثر<sup>(2)</sup>". ولا شك أن جابراً ألف مؤلفات عديدة وأكثرها في الكيمياء، لكنها ليست بالكم الهائل الذي ذكره ابن النديم. "ولا يخلو كتاب من كتبه من فوائد عديدة"<sup>(3)</sup> وأهمها في الكيمياء ما يلي:

نشربول كراوس خمسة كتب كيميائية لجابر بن حيان هي: كتاب إخراج ما في القوة إلى الفعل، وكتاب ميدان العقل، وكتاب الحدود، وكتاب الماجد، وكتاب الراهب، ضمنها في كتاب واحد مع أجزاء ونخب من كتب جابر التالية<sup>(4)</sup>.

---

(1) الفهرست 499.

(2) الفهرست 499.

(3) كشف الظنون 1531/2.

(4) بول كراوس، مختار رسائل جابر بن حيان، م. س.

- كتاب الأحجار على رأى بليناس.
- كتاب الخواص الكبير.
- كتاب الخواص.
- كتاب السر المكنون.
- كتاب التجميع.
- كتاب التصريف.
- كتاب الميزان الصغير.
- كتاب السبعين.
- كتاب الخمسين.
- كتاب البحث.
- كتاب الحاصل.
- كتاب القديم .
- كتاب الإشتمال.

#### ولجابر مؤلفات كيميائية أخرى مهمة ، منها:

- كتاب الملاغم.
- كتاب رسالة فى الكيمياء.
- كتاب الأسرار.
- كتاب فى علم الصنعة الإلهية والحكمة الفلسفية.
- كتاب الرحمة.
- كتاب الذهب.
- كتاب الأسرب.
- كتاب تدبير الحكماء.

- كتاب التنزيل.
- كتاب التصعيد.
- كتاب التنقية.
- كتاب الحديد.
- كتاب الخارصين.
- كتاب الفضة.
- كتاب النحاس.
- كتاب السموم.
- كتاب خواص إكسير الذهب.
- كتاب المقابلة والمماثلة.
- كتاب نار الحجر.
- كتاب كشف الأسرار وهتك الأستار.
- كتاب صندوق الحكمة.
- كتاب الروح.
- كتاب الصبغ.

تلك هي أهم مؤلفات جابر الكيمائية والتي تعد دائرة معارف علمية تعبر عن أهم مرحلة من مراحل تطور علم الكيمياء في الحضارة الإسلامية حيث ضمنها جابر بن حيان كل ما توصل إليه من كشوف وابتكارات كيمائية أثرت في الأجيال العلمية اللاحقة له وامتد تأثيرها إلى العصر الحديث الأمر الذي يجعل من جابر بن حيان مدرسة علمية ممتدة، وهذا ما سوف نتعرض له في الفصل بعد القادم من خلال إنجازات جابر الكيمائية وأثرها في الإنسانية، وذلك بعد أن نتعرف على بنية المدرسة العلمية التي أسسها جابر ومنهج البحث العلمي عنده في الصفحات القادمة.

## ثانياً - بنية المدرسة العلمية :

وضع جابر مجموعة من المبادئ والقواعد التى تحكم علاقة المدرسة وتشكل البنية الأساسية التى تقوم عليها. ففي كتابه البحث يخصص جابر المقالة الأولى منه<sup>(1)</sup> ليضع شروطاً عامة تنطبق على أى مدرسة علمية بصرف النظر عن موضوع البحث نفسه. ويمكن التعرف على تلك المبادئ فيما يلى :

### ١- ما يجب للأستاذ على التلميذ

١- أن يكون التلميذ لنا قبولاً لجميع أقاويله من جميع جوانبه لا يعترض عليه فى أمر من الأمور وإن كان كافياً متصوراً للأمر، فإن ذخائر الأستاذ العالم ليس يظهرها للتلميذ إلا عند السكون إليه والشكر له غاية الشكر. وذلك أن منزلة الأستاذ منزلة العلم نفسه. ومخالف العلم مخالف الصواب، ومخالف الصواب حاصل فى الخطأ والغلط، وهذا لا يؤثره عاقل. فإن لم يكن التلميذ على هذا القدر من الطاعة، أعطاه الأستاذ قشور العلم وظاهره أو ما يسمى بالعلم البرانى.

وهذا المبدأ يقترب من مفهوم الطاعة بالمعنى الصوفى، اذ يجب على المريـد الصادق أن يطيع شيخه فى كل ما أذن له فيه وأمر به. وقد ذكرت بعض المصادر<sup>(2)</sup> أن جابراً كان معروفاً بالصوفى.

---

(١) جابر بن حيان، المقالة الأولى من كتاب البحث، مختار كراوس، ص 501 - 502.

(2) الفهرست، ص 499، الأخبار، ص 112.



2- يقصر جابر طاعة التلميذ لأستاذه على العلم والدرس وسماع البرهان عليه وحفظه وترك التكاسل والتشاغل عنه، ولا يعمم تلك الطاعة على الأمور الحياتية لأنها لا مقدار لها عند الأستاذ الرباني. والأستاذ في هذا الحال كالإمام للجماعة التي هو قيم بها، وكالراعي والسائس للأشياء التي يتولى صلاحها وإصلاحها فإن عسرت عليه أو عسر عن التقويم فإما أن يطرحها وإما إن يتعبه تقويمها إلى أن تستقيم. ولذلك وضع أرسطو كتباً سماها الفلسفة الخارجة، وأمر أن تعطى للعامة من الناس، ونصح العالم أن يشغلهم بقراءتها عن ذوات الناس .

3- يجب على التلميذ أن يكون كتوما لسر أستاذه لأن التلميذ في هذه الحال كالأرض المزروعة التي يتخذها الإنسان لصلاح حاله، فإن كانت تربتها طيبة نبت البذر فيها فأزكى وأنيع، وإن كانت تربتها فاسدة قبيحة، هلك البذر فيها ولم يثمر إلا قليل النفع. ويقصد ابن حيان بالمثالين الأبله والذكي وأمثال ذلك .

4- ينبغي على التلميذ أن ينقطع إلى الأستاذ، دائم الدرس لما أخذ عنه كثير الفكر فيه، فإن الأستاذ لا يمكنه إلا أن يعلم التلميذ أصول العلم وعلى الثاني الرياضة به .

5- ينبغي على التلميذ أن يديم الدرس ليله ونهاره ليكون الفائق المستخرج للغوامض وإن أدمت الدرس تصيب وتخطئ، ثم يكثر ثوابك وتعمل إذا تمكنت من العلم لتصيب بطول دراستك علم سرائر الخليفة<sup>(1)</sup>.

---

(1) جابر بن حيان، كتاب ميدان العقل، مختار كراوس، ص 233.

6- يحذر جابر تلاميذه من الغلط والسهو لأنه كلما تكرر سماع الصانع ومرور النكت فيها على مسامع متعلمها، كان ذلك أشد لقوته وأحكم له وأكثر لتصرفه، إذ العلوم إنما تخرج بالعقل، والقياس إنما يكون بقوة العلم، وقوة العلم إنما تكون بكثرة الرياضة في أصول تلك الصناعة<sup>(1)</sup>.

#### ب- ما يجب للتلميذ على الأستاذ

أن يمتحن الأستاذ قريحة المتعلم، أي جوهره الذي طبع عليه ومقدار ما فيه من القبول والإصغاء إلى الأدب إذا سمعه، وقدرته على مذاكرة وحفظ ماتعلمه فإذا وجده الأستاذ قابلاً ذا أرض زكية ترسم فيها المعلومات، ابتدأ بإعطائه أوائل العلوم التي تتناسب قبوله وسنه واستعداده، وكلما احتل الزيادة زاده بعدما يكون قد امتحنه فيما كان سقاه أولاً فإن كان حافظاً غير مضيع لما تلقاه، زاده في الشرب والتعلم، وإن وجده ينسى ويتخيل في حفظه، نقصه من الشرب والتعليم وعاتبه على ذلك عتاباً كإيماء من غير إمعان في التصريح. ثم يمتحنه بعد ذلك ثانياً وثالثاً، فإن كان جارياً على وتيرة واحدة في النسيان، هزه بالعتاب وأوجعه بالتقريع وبالغ في توبيخه. وإن كان عند امتحانه الأول قد استيقظ تدرج الأستاذ به من مرتبة إلى مرتبة، ولا يتخطى به المراتب فيظلمه في التعليم، وذلك فساد في التعليم وضرر في العقبة عظيم جداً. ويستمر الأستاذ في التدرج بتلميذه إلى أن يبلغ آخر المراتب.

وهنا يذكرنا جابر بمبدأ تربوي هام قال به علماء التربية في العصر الحديث، وهو مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين من حيث كم وكيف المادة العلمية التي تعطى لهم.

---

(1) جابر بن حيان، كتاب الخواص الكبير، ص 319 .

وأخر المراتب التى يقصدها جابر هى مرتبة الأساتذة الذين يجب عليهم للتلميذ مثل ما وجب لهم فى أول أمرهم .

إن الأستاذ الذى يغفل عن تلميذه يكون خائناً، والخائن لا يكون مؤتمناً، ومن لم يكن مؤتمناً لا يؤخذ عنه علم، لأن العالم لا يكون إلا صادقاً، فذلك غير عالم وهو باسم الجهل أولى منه باسم العلم .

ويختتم جابر كلامه عن العلاقة بين الأستاذ وتلميذه بقوله: إن سبيل الأستاذ والتلميذ أن يكونا متعاطفين بعضهما على بعض تعاطف قبول، وأن يكون التلميذ كالمادة، والأستاذ له كالصورة، وهذا إنما يكون بالقبول.



## الفصل الثالث

### منهج البحث العلمى



استخدم علماء الحضارة الإسلامية فى العلوم الطبيعية، ومنها الكيمياء، منهجاً علمياً يقوم على استخراج علة الشئ أو سببه، وهو ما عُرف بالقياس الأصولى القائم على قانون العلية أو التعليل والأطراد فى وقوع الحوادث، ووضع العلماء طرقاً لإثبات العلة من حيث إنها هى الصغات التى يستند عليها الحكم، وهذه الطرق هى:

- 1- ضرورة تأثير العلة فى الحكم.
- 2- أن تكون العلة غير مضطربة، أى لا يردّها نص أو إجماع، أو تعترض علل أقوى منها، ولا تستوجب حكماً للأصل وآخر للفرع .
- 3- ضرورة ظهور المعلول إذا ظهرت العلة.
- 4- ضرورة اختفاء المعلول إذا اختفت العلة.

وهذه الطرق قد أخذها المنطقى الإنجليزى جون ستيوارت مل فى العصر الحديث وسماها وسائل استقرائية لتحقيق الفرض العلمى .

وبذهب جابر بن حيان إلى أن العلة قبل المعلول بالذات ضرورة، ولا يمكن أن يكون ذات ما لا يكون لا علة ولا معلول<sup>(1)</sup>.

فالمنهج فى علم الكيمياء يتلخص فى استخراج علة الشئ أو سببه، ثم تلمسه فيما قد يشبهه من الأشياء المجهولة، حتى إذ أيقن الباحث اشتراك كل من المعلوم والمجهول فى علة واحدة قاس الثانى على الأول فى حكمه المنبثق من تأثير تلك العلة. وتقوم فكرة القياس هذه على مبدئين اثنين هما مبدأ العلية أى أن لكل معلول علة، ولكل أثر مؤثراً. ومبدأ التناسق والنظام فى العالم، أى

---

(1) جابر بن حيان، كتاب الخواص الكبير، ص 236 .

أن المظاهر الجزئية للكون - وإن اختلفت أشكالها - ترتبط بعلة كلية من شأنها أن تبث التماسق والانسجام فيما بينها، ومهما أوغلت في التدقيق بطبائع هذه العلل رأيتها تتجمع أخيراً في أقل عدد من العلل والأساليب. ولعل أوضح من عبر عن هذا في علم الكيمياء هو جابر بن حيان الذي استخدم قياس الغائب على الشاهد في وصفه واستخدامه للمنهج التجريبي، وجعل هذا القياس، على ثلاث صور<sup>(1)</sup>:

**الصورة الأولى:** دلالة المجانسة أو الأنموذج وهي أشبه بالوقائع المختارة في المنهج الاستقرائي عند المحدثين وقد جعل هذه الدلالة ظنية احتمالية، وجابر في هذا يقرر احتمالية التجربة. وأنها لا تؤدي إلى يقين. ويؤكد فكرة "الكم" حين يرفض ما ذهب إليه أصحاب الأنماذج من أن الجزء والكل متضايقان "يقتضى أحدهما وجود الآخر" وهو لا ينكر مفهوم التضايق، ولكنه يرى أنه لا بد من إثبات أن هذا الشيء جزئي وبعضى، لأنه من الممكن أن يكون هذا الشيء الذي ظنوه جزئياً واستدلوا به على وجود غيره من جنسه هو كل ما في الوجود من هذا الشيء. أما إذا أثبتوا أن هذا الشيء الموجود جزئي، واستدلوا به على وجود جزئي آخر مثله، أو كلى هذا الشيء الذي يكون الجزئي من جنسه، كان الاستدلال صحيحاً، يقيناً اضطرارياً وإن لم يكن كذلك لم يكن صحيحاً اضطرارياً، فجابر بن حيان إذن يأخذ بدلالة المجانسة في إثبات قياس الشاهد على الغائب.

**الصورة الثانية:** دلالة مجرى العادة: وهي قياس واستقراء، للنظائر واستشهاد بها على المطلوب. وكان متكلمو الإسلام هم الذين اكتشفوا فكرة

---

(1) راجع، على سامى النشار، مناهج البحث عند مفكرى الإسلام، ص237، وبعدها.



العادة وهى عندهم ما يتحقق فى كل المناسبات وقد أقام أصوليو الإسلام متكلمين وفقهاء، قياسهم على فكرة العادة ومؤداها إنهم إذا شاهدوا حادثة تعقبها حادثة أخرى عادة، حكموا بأنهم إذا شاهدوا هذه الحادثة مرة أخرى فإن الأخرى ستعقبها أو ستتقرن بها. ولكن بدون تحقق علاقة ضرورية بين الأثنين، وإنما هى عادة تقوم على المشاهدة وعلى التجربة، أى أن جرى العادة هذا ليس يقينا. وتابعهم جابر بن حيان فأعلن احتمالية هذا المسلك، وأن التعلق المأخوذ من جرى العادة، فإنه ليس فيه علم يقين واجب إضراى برهاني أصلاً، بل علم إقناعى يبلغ إلى أن يكون أجدى وأولى وأجدر لا غير. وبفكرة الإحتمالية هذه يكون جابر بن حيان ومعه الأصوليون قد سبقوا المحدثين أمثال هيوم وغيره .

**الصورة الثالثة: دلالة الآثار أو شهادة الغير، والقصد هو الدليل النقلى**  
أو شهادة الغير، أو السماع أو الرواية أما شهادة الغير، فهى ظنية، قد تقبل وقد لا تقبل .. ولكن هل يعمم جابر بن حيان شكه فى يقينية الآثار؟ لكى يتضح لنا فكر جابر بن حيان عن الآثار، ينبغى أن نبحث فكرته عن اليقين عامة. ويرى جابر أن هناك أوائل وثوانى فى العقل، أما الأوائل فلا يشك فى شئ منها، ولا يطلب عليها برهنة ولا دليل، أما الثوانى فتوفى من الأول بدلالته. ولكن كيف يتوصل إلى هذه الأوائل، هل بحدس مطلق معصوم عن الخطأ؟ يذكر جابر الحدس، وأن الحدس يخرج المبادئ، ولكن ما الذى يضمن لنا صحة هذه الحدوس ويقينيتها؟ إنها العيان، والعيان تقيم البرهان، أى الدليل على صدقه. والعيان عيان الأنبياء.

وإذا كان جابر بن حيان قد اطلع على التراث العلمى اليونانى وتأثر به فى بعض جوانب تفكيره، إلا أنه اتخذ التجربة سبيلاً إلى التثبت من صحة

الآراء والنظريات اليونانية التي وقف على دراستها. وفي التمييز بين العقلية اليونانية والعقلية العربية في البحث والدرس يقول غوستاف لوبون "إنك لاتجد عالماً يونانياً استند في مباحثه إلى التجربة، مع أنك تعد مئات من العرب الذين قامت مباحثهم الكيميائية على التجربة، فجابر بن حيان أستاذ لأفوازيه أبى الكيمياء الحديثة<sup>(1)</sup> .

ولم تكن تجريبية جابر مجرد معرفة بالخبرة، بل كانت عبارة عن ازدواج بين العقل والعمل كما ينص المنهج التجريبي الحديث الذى صاغه علماء الغرب المحدثين، حيث يمر المنهج العلمى التجريبي أو الإستقرائي بمراحل ثلاث: الأولى هي مرحلة البحث، والثانية هي مرحلة الكشف، والثالثة هي مرحلة البرهان، فالجانب العقلي يتمثل في المرحلة الثانية وهي مرحلة الكشف، ويتمثل الجانب التجريبي في المرحلتين الأولى والثالثة وهما البحث والبرهان. ويصرح جابر بأن منهجه العلمى التجريبي قد ضمّنه بصورة كلية فى كتابه "الخواص" وهو والله ... قد عملته بيدي وعقلي من قبل وبحثت عنه حتى صح وامتحنته فما كذب<sup>(2)</sup>.

وهذا وصف دقيق لما يقوم به الباحث العلمى الحديث، إذ أن جابراً قد زاوج بين الفرض العقلي وبين التجربة التى تأتى لتأييده أو تكذيبه. ويجعل جابر الدربة (التجربة) محكاً للتمييز بين العالم وغير العالم. فالأول يصل بالتجربة إلى نتائج جديدة، والثانى يعطل البحث العلمى "فمن كان دربا كان

---

(1) مصطفى الرافعى، حضارة العرب، دار الكتاب اللبنانى، بيروت 1968، ص235.

(2) جابر بن حيان، كتاب الخواص، ص322 .

عالمًا حقًا ومن لم يكن دربا، لم يكن عالماً وحسبك بالدربة في جميع الصنائع،  
أن الصانع الدرب يحذق وغير الدرب يعطل<sup>(1)</sup>.

وعلى صاحب التجربة تبعاً لجابر<sup>(2)</sup>: أن يعرف علة قيامه بالتجربة  
التي يجريها، وأن يفهم الإرشادات فهما جيداً، ويجتنب المستحيل والعقيم،  
ويجب عليه اختيار الزمن الملائم لإجراء التجربة، ويفضل أن يكون معمله في  
مكان معزول، وأن يكون لديه الوقت الكافي الذي يمكنه من إجراء تجاربه التي  
يجب أن يكون دؤوباً عليها وصبوراً على نتائجها، وألا تخدعه الظواهر  
فيتسرع في الوصول الى النتائج التي يمكن أن تؤدي إلى الفشل .

وإذا كانت التجربة في التصور العلمي الحديث تزود العلم بالأساس  
المادى الذى يثبت وجهة نظر الباحث فيما سبق له أن لاحظته من الوقائع  
والمشاهدات، فإن جابراً بن حيان قد فطن إلى هذا المفهوم وطبقه بصورة  
فعلية، فمن نصوصه يمكن تلمس خطوات السير فى طريق البحث العلمى،  
وهى خطوات تتطابق مع ما يتفق عليه معظم المشتغلين بالمنهج العلمى اليوم،  
وهى تتلخص فى ثلاث خطوات رئيسة: الأولى - أن يستوحى العالم من  
مشاهداته فرضاً يفسر به الظاهرة المراد تفسيرها والثانية - أن يستنبط من  
هذا الفرض نتائج تترتب عليه، والثالثة - أن يعود بهذه النتائج إلى الطبيعة  
ليرى هل تصدر أو لا تصدق على مشاهداته الجديدة، فإن صدقت تحول  
الفرض إلى قانون علمى يساعد فى التنبؤ بالظاهرة لو توفرت نفس الظروف.

---

{1} جابر بن حيان، كتاب السبعين، ص 464 .

(2) Holmyard, E. J: Chemistry to the time of Calton, P. 36.

ولم يغفل جابر بن حيان دور الملاحظة أو المشاهدة الحسية تماماً كما  
فى المنهج العلمى الحديث. ففى المقالة الأولى من كتاب الخواص الكبير  
يقول<sup>(1)</sup>: ويجب أن تعلم أنا نذكر فى هذه الكتب خواص ما رأينا فقط دون ما  
سمعناه أو قيل لنا أو قرأناه بعد أن امتحناه وجربناه، فما صح أوردناه، وما  
بطل رفضناه، واستخرجناه نحن وقايسناه على أقول هؤلاء القوم". فالملاحظة  
الحسية هى المصدر الصحيح لتحصيل العلوم والمعارف، وهى أيضاً وسيلة  
لتقييم آراء الآخرين، فما تثبته فمقبول، وما لم تثبته فمرفوض.

وينصح جابر بضرورة قراءة الكتب والتحصيل النظرى قبل إجراء  
التجارب، ومع اعترافه بأن عملية الإطلاع على ما فى الكتب النظرية تقتضى  
تعباً وكداً، إلا أنها هى الخطوة الأساسية الأولى فى البحث إذا أراد الباحث  
الوصول إلى الحقيقة بعد التجربة. يقول جابر: "اتعب أولاً تعباً واحداً واجمع  
وانظر واعلم، ثم اعمل، فإنك لا تصل أولاً، ثم تصل إلى ما تريد"<sup>(2)</sup>.

يتضح مما سبق أن جابراً بن حيان قد اتبع المنهج العلمى بأدق  
تفاصيله. وقد أدى به هذا إلى إحراز نتائج مهمة فى تقدم علم الكيمياء. بيد أن  
التطور الذى حدث فى مجال هذا العلم لم يكن فى مجال المنهج فحسب، وإنما  
امتد ليشمل نسق المعرفة العلمية فيه، على ما سيتضح لاحقاً.

---

(1) جابر بن حيان، كتاب الخواص الكبير، ص 232.

(2) المصدر نفسه، ص 324.

## الفصل الرابع

### إنجازات جابر بن حيان وأثرها فى الإنسانية

- حدود علم الصناعة .
- نظرية تكوين المعادن .
- تحضير الأحماض المعدنية .
- اكتشافات وابتكارات أخرى .



## - حدود علم الصنعة :

صنّف جابر الكيمياء (علم الصنعة) ضمن علوم الدنيا التي تنقسم إلى قسمين<sup>(1)</sup>: قسم شريف وهو علم الصنعة أو الكيمياء، وقسم وضيع وهو علم الصنائع، وتنقسم الصنائع إلى قسمين: منها صنائع محتاج إليها في الصنعة، وصنائع محتاج إليها في الكفاية والاتفاق على الصنعة منها، وصنائع الأدهان والعطر والأصباغ وغير ذلك داخل في القسم الذي يُراد للكفاية الإستعانة بما يتفق منه على الصنعة.

فأما علم الصنعة فمنقسم قسمين: مراد لنفسه ومراد لغيره، فالمراد لنفسه هو الإكسير التام الصابغ، والمراد لغيره على ضربين: عقاقير وتدابير، فالعقاقير على ضربين: حجر وهو المادة، وعقاقير يدبّر بها، والتدابير على ضربين: جوانى وبرانى، فالجوانى على ضربين: أحمر وأبيض، والبرانى على هذين الضربين أيضاً، لكنه ينقسم أقساماً تكاد تكون بلا نهاية. والعقاقير التى يدبّر بها على ضربين: بسائط ومركبة، فالبسائط هى كل مالم يدخله تدبير، والمركبة هى الأركان، فأما الإكسير فعلى ضربين: أحمر وأبيض.

ويحدد جابر لكل علم من هذه العلوم حدوداً ينبغي لمن أراد التخصص فيه أن يتعلم تلك الحدود ويتمهر فيها<sup>(2)</sup>: فحدّ علم الصنائع أنه العلم بما يحتاج إليه الناس فى منافع دنياهم.

وحدّ علم الصنائع المحتاج إليها فى علم الدنيا الشريف وهو العلم بما لا يتم علم الدنيا الشريف إلا به .

---

(1) جابر بن حيان، كتاب الحدود، مختار كراوس، ص100.

(2) جابر بن حيان، المصدر نفسه، ص 103 وبعدها.

وحدّ علم الصنائع المحتاج إليها للكفاية والمعونة على علم الدنيا الشريف هو العلم بما يتوصل به مع إقامة الحياة إلى إستفادة فضل كافٍ فيما يُراد من المعونة على العلم الشريف كفاية جزئية أو كلية.

وحدّ علم الصنعة أنه العلم بالإكسير، فإذا دُبّر تدبيراً ما، كان منه علم الدنيا الشريف.

وحدّ العلم بالإكسير هو العلم بالشئ المدبر الصايغ القالب لأعيان الجواهر الذائبة الخسيسة إلى أعيان الجواهر الذائبة الشريفة .

وحدّ العلم بالعقاقير هو العلم بالأحجار والمعادن المحتاج إليها فى بلوغ الإكسير والوصول إليه .

وحدّ العلم بالتدابير أنه العلم بالأفعال المغيرة لأعراض ما حلت فيه لأعراض آخر أشرف منها وأشوق إلى تمام الإكسير .

وحدّ العلم بالحجر الذى هو المادة للأكسير هو العلم بالذات التى تحتاج إلى تبديل أعراضها لتصير إكسيراً .

وحدّ العلم بالعقاقير الداخلة فى تدبير هذا الحجر هو العلم بالجواهر المعدنية ذوات الخواص التى تُغير أعراض هذا الحجر المراد تغييرها .

وحدّ العلم البرانى هو العلم بما يُدبر من خارج تدبيراً يقل الإنتفاع به فى الشريف.

وحدّ العلم بالعقاقير البسيطة أنه العلم بما لم يدخله التدبير المقصود به الصنعة من الأشياء المحتاج إليها فيها.



وحدّ العلم بالمركب من العقاقير أنه العلم بما دخله التدبير المقصود به  
الصنعة من الأشياء التي يُحتاج إليها حاجته مزاج واختلاط .  
وحدّ العلم بالإكسير الأحمر أنه العلم بما يصبغ الفضة ذهباً لما هو  
عليه .

وحدّ العلم بالإكسير الأبيض أنه العلم بما يصبغ النحاس أو الرصاص  
فضة لما هو عليه .

واشتغل جابر بما شغل كافة الكيميائيين والأطباء على مرّ العصور،  
وهو صناعة الإكسير، وزعم أنه استحضره وعالج به أكثر من ألف مريض  
كما يقول<sup>(1)</sup>: خلصت بالإكسير أكثر من ألف نفس، ومنهم جارية سيدي يحيى  
بن خالد التي أصابها علة لم تقدر معها على النفس ولا الكلام البتّة، ولما زاد  
الأمر سألني أن أراها، فرأيت ميتة خاملة جداً، وكان معي من هذا الإكسير  
شيئ قسقيتها منه وزن حبتين بسكنجيين صرف مقدار ثلاث أواق. فوالله لقد  
سرت وجهي عن هذه الجارية لأنها عادت إلى أكمل ما كانت عليه في أقل  
من نصف ساعة زمانية، فأكبّ يحيى على رجلي مقبلاً لها.

وكانت لي جارية، كما يقول جابر، أكلت زرنخاً أصفر وهي لا تعلم  
مقدار أوقية، فلم أجد لها دواء بعد أن لم أترك شيئاً مما ينفع السموم إلا  
عالجتها به، فسقيتها من الأكسير وزن حبة بعسل وماء، فما وصل إلى جوفها  
حتى رمت به بأسره وقامت على رسمها الأول.

فالأكسير يدفع جميع السموم، وينبغي أن يسقى منه في جميعها وزن  
حبة في الأشياء الباردة بالعسل وماء العسل وشرابه وما جرى، وفي الأشياء

---

(1) جابر بن حيان، كتاب الخواص الكبير، ص 303 - 304 .

ويذهب جابر إلى أن تركيب وطبيعة العنصر أو الجوهر يرجع إلى طبيعة العلاقة بين كميته وكيفيته، وهو يعرض لخمس أشكال لهذه العلاقة، ينبغي لطالب العلم أن يتمرس بها بطول دراستها كي يخرج له علم أسرار الخليقة وصنعة الطبيعة، ويكون عالماً بموازين هذه العناصر<sup>(2)</sup>: فأما الشكل الأول فهو الجوهر الذي تناسبت كيفيته مع كميته، فتركبت طبائعه دفعة واحدة وهذه الطبائع ليست مصنوعة، وإنما هي صنعة الخالق عز وجل التي لا فساد فيها ولا علة، فأما إن كان من صنعة الأدميين، فلا يجوز أن يكون كذلك أبداً ولا يتركب.

وأما الثاني فإن الكمية متى خالفت الكيفية، كان كأحد الأشياء التي يلحقها الفساد والتغير والإحالة من لون إلى لون، ومن مقدار إلى مقدار.

وأما الثالث فإن الكمية إذا وافقت الكيفية وتناسبت جميعاً في المقدار وكان زمانه مخالفاً لمكانه سلك مسلك الأشياء القلقة، ولا يجوز أن يكون إلا بالضد، فيفنى ويضمحل سريعاً.

وأما الرابع فإن الكمية إذا كانت مخالفة للكيفية وكان جوهره وطبائعه صحيحة التركيب دفعة واحدة. وكان زمانه معادلاً لمكانه، فإنه بالعكس من الذي قبله ويكون من الأشياء التي تركيبها فاسد، إما أن يكون أيضاً الخلاف الذي بين الكمية والكيفية مخالفاً أو متناسباً، فإن كان متناسباً صح أحدهما وفسد

---

{1} المصدر نفسه، ص 305 .

{2} جابر بن حيان، كتاب الميزان الصغير، ص 439، 442 .

الآخر، وإن كان مخالفاً كان شر وأفسد عاقبة لأنه يبطل حصر عدده ولونه ويلحقه الأضمحلال بحسب ذلك .

وأما الشكل الخامس فيلحقه مركبة الفساد أيضاً لقلّة العلم بترتيب الكمية والكيفية، فإن زمانه معادلاً لمكانه، فإنه يكون سبباً صالحاً، وإن كان مخالفه واتفقت الكمية والكيفية، كان شر، فإن بطل الجميع مع أنه مصنوع بطل الكل من ذلك التركيب .

درس جابر خواص العناصر المعدنية وكيفية تحويلها كيميائياً دراسة علمية دقيقة أدت به إلى قيامه بكثير من العمليات والتفاعلات الكيميائية<sup>(1)</sup>: فالطبائع في كل عنصر موجودة ظاهرة تامة أو باطنة تامة ولا يخلو كل موجود أن يكون فيه طبعان فاعل ومنفعل ظاهران، وطبعان فاعل ومنفعل باطنان. ومن الأجسام ما ينبغي أن تُبطن عنصريّة الظاهرين وتُظهر عنصريّة الباطنين حتى يكمل ويصير جسماً غير فاسد. فأما القلعي فإن ظاهره بارد رطب رخو وباطنه حار يابس صلب، ولما اعتدلت هذه الطبائع في هذا الجسم على هذا المقدار سُمي رصاصاً، فداخله حديد وخارجه رصاص، فإذا أبطنت ظاهره، وظهرت باطنه، صار حديداً. وأما الحديد فخصّ ظاهره من ذلك بالحرارة وكثرة اليبس. وباطنه على الأصل بارد رطب، وهو صلب الظاهر رخو الباطن، وما في الأجسام أصلب منه ظاهراً، وكذلك رخاوة باطنه على قدر صلابة ظاهره على الأصل. والذي على هذا المثال الزئبق، فظاهره حديد وباطنه زئبق، والوجه في صلاحه أن تنقص يبوسته، فإن رطوبته تظهر فيصير ذهباً، أو انقص حرارته فإن برودته تظهر فيصير فضة يابسة، أو

---

(1) راجع، جابر بن حيان، كتاب السبعين، ص 466، 470 .

انقص يبوسته قليلاً فإنه يصير فضة لينة. وأما الذهب فحار رطب في ظاهره بارد يابس في باطنه، فإن أردت أن تزيد عليه حتى يحمر فيصبع الفضة ويحتمل الحمل، فزد في حرارته وانقص رطوبته حتى يكاد أن يكون حاراً يابساً فإن حمرة تشدد. وأما الزئبق فإن طبعه البرد والرطوبة في ظاهره والرخاوة، وباطنه حار يابس فظاهرة زئبق وباطنه حديد، كما أن باطن الحديد زئبق وظاهره حديد، فإن أردت نقله إلى أصله، فصيره أولاً فضة وهو أن تبطن رطوبته وتظهر يبوسته، فإنه يصير فضة، فإن أردت تمام ذلك، فاقلب الفضة كما هي حتى يرجع ظاهرها وباطنها ظاهراً، فيكون ظاهرها حاراً رطباً ذهباً، وباطنها بارداً يابساً حديداً. وأما الفضة فأصلها الأول ذهب ولكن أعجزها البرد واليبس، فأبطنت في باطنها الذهب، فظهر الطبع الذي غلب فصار ظاهرها فضة وباطنها ذهباً. فإن أردت ردها ذهباً، فابطن برودتها، فإن حرارتها تظهر، ثم ابطن بعد ذلك اليبس، فإن الرطوبة تظهر وتصير ذهباً.

ويصف جابر ميزاناً خاصاً لمعرفة النسب المختلطة بين الجواهر أو المعادن، مثل الذهب والفضة والنحاس والرصاص. وغيرها<sup>(1)</sup>: فإذا أردت ذلك فاستعمل ميزاناً على هيئة الأشكال ويكون بثلاث عرى خارجة إلى فوق، وأعمل بهذه الكفتين كعمل الموازين أعنى من شدة بها الخيوط وما يحتاج إليه، ولتكن الحديدية الواسطة التي فيها اللسان في نهاية ما يكون من الاعتدال حتى لا يميل اللسان فيها أولاً قبل نصب الخيوط عليها إلى حبة من الحبات، ويكون وزن الكفتين واحداً وسعتهما واحدة. ثم شد الميزان كما يشد سائر الموازين، ثم خذ إناء فيه ما يكون عمقه إلى أسفل نحو الشبر أو دونه، ثم املاً

---

(1) جابر بن حيان، كتاب الأحجار على رأى بليناس، ص 142 - 143 .

ماء قد صفى أياما من دغله وقذره، ثم اعمد إلى سبيكة ذهب أحمر خالص نقي جيد ويكون وزنها درهما، وسبيكة فضة بيضاء خالصة ويكون وزنها درهما، ويكون مقدار السبكتين واحداً، ثم ضع الذهب فى إحدى الكفتين والفضة فى الأخرى، ثم دل الكفتين فى ذلك الماء الذى وصفنا إلى أن تغوصا فى الماء وتمثلتا من الماء، ثم اطرح الميزان فإنك تجد الكفة التى فيها الذهب ترجح عن التى فيها الفضة، وذلك لصغر جرم الذهب وانتفاش الفضة، وذلك لا يكون إلا من البيوسة التى فيه. فاعرف الزيادة التى بينهما بالصنجة واعلم أن بينهما دانقاً ونصفاً. وكذلك يقاس كل جوهريْن وثلاثة وأربعة وخمسة وما شئت من الكثرة والقلّة . مثل أن تعرف النسبة التى بين الذهب والنحاس، والفضة والنحاس، والذهب والنحاس والرصاص، أو الفضة والرصاص والنحاس، والفضة والذهب والرصاص، ومثل أن تعرف ما بين الذهب والفضة والنحاس المختلطين، أو الفضة والنحاس والرصاص، وكذلك إن شئت واحداً، وإن شئت اثنين اثنين، أو ثلاثة ثلاثة، أو كيف أحببت.

## نظرية تكوين المعادن

وقف جابر طويلاً أمام عنصر الكبريت وأجرى عليه كثيراً من التجارب وبحث فيه كثيراً، وسجل أبحاثه في مؤلفاته، وخاصة كتاب الخواص، حيث وصف فيها جميع صور الكبريت المعروفة حالياً، مثل زهر الكبريت (الكبريت الذهب) والكبريت المطاط والكبريت العمود .. وغير ذلك. ورأى جابر أن عنصر الزئبق يتحد ببعض المعادن على أيامه مثل الحديد، وبالبحث والتجارب انتهى جابر إلى أن الزئبق يتحد بأكثر المعادن اتحاداً كيمياوياً متخذاً صورة ملاغمة عن طريق تكوين الأصرة المعدنية تلك التي لم تُعرف بعد جابر إلا في القرن العشرين.

ومن أبحاثه وتجاربه في الكبريت والزئبق، انتهى جابر إلى تدشين نظريته في تكوين المعادن، حيث سادت نظرية العناصر الأربعة العصور اليوناني، وانتقلت إلى العالم الإسلامي. ومع أن جابراً بن حيان قد أخذ بها، إلا أنه تقدم تقدماً ملحوظاً عليها وعلى غيرها من النظريات اليونانية، وذلك بوضعه نظريته في طبيعة المعادن أو نظرية الكبريت والزئبق التي ضمنها في بعض مؤلفاته خاصة كتاب المائة وكتاب الإيضاح، ومؤداها<sup>(1)</sup>:

"إن الأجساد كلها في الجواهر زئبق أنعقد بكبريت المعدن المرتفع إليه في بخار الأرض وإنما اختلفت لاختلاف أعراضها، واختلاف أعراضها يرجع إلى اختلاف نسبها" وهذا يعنى أن للمعادن مقومين، أحدهما دخان أرضي، والآخر بخار مائي، ويعمل جوف الأرض على تكثيف هذه الأبخرة، فينتج

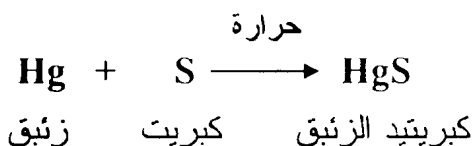
---

(1) جابر بن حيان، كتاب الإيضاح، تحقيق هولمارد، باريس 1928، ص 56 .

الكبريت والزئبق، وباجتماع هذين العنصرين تتكون المعادن تلك التى تختلف بعضها عن بعض باختلاف نسب الكبريت والزئبق فى تكوينها، فنسبة الكبريت تعادل نسبة الزئبق فى الذهب، وفى الفضة يتساوى الكبريت والزئبق فى الوزن، ويدخل فى النحاس من العنصر الأرضى أكثر مما فى الفضة. وإذا زادت نسبة الكبريت فى المعدن، على رأى جابر، أصبح هذا المعدن أخف وزنا وأشد صلابة. وأكثر قبولا للصدأ، ويصبح المعدن أثقل وزنا وأكثر ليونة وأقل قابلية للصدأ إذا زادت نسبة الزئبق به .

دشن جابر هذه النظرية مع فهمه التام أنها صورة تقريبية لما يحدث فى تكوين المعادن داخل باطن الأرض، فقد علم يقينا أن الكبريت والزئبق اللذين يكونان المعادن هما عنصران افتراضيان، وأقرب شئ إليهما الكبريت والزئبق المعروفين اللذين إذا اتحدا بالتسخين ينتج عنها الزنجفر طبقا لهذه المعادلة الإنعكاسية

كبريت + زئبق  $\rightleftharpoons$  كبريتيد الزئبق (الزنجفر) الذى ما زال معروفا فى الكيمياء الحديثة بالاسم الذى أطلقه عليه جابر Cinnabar، ويتم تحضيره فى المعامل والصناعة حاليا بنفس الطريقة التى استحضره بها جابر ودونها فى كتابه الخواص الكبير وفقاً للمعادلة الحديثة التالية :



فلتحويل الزئبق إلى مادة صلبة حمراء، خذ قارورة مستديرة، وصب فيها مقدارا ملائما من الزئبق، واستحضر أنية من الفخار وضع بها كمية من

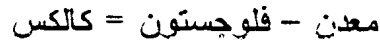
الكبريت الأصفر المسحوق، وثبت القارورة فوق الكبريت واجمعه حوله فى شكل كومة مستعينا بمقدار آخر من الكبريت حتى يصل إلى حافة القارورة، ثم ادخل الأنبة فى فرن هادئ، واتركه فيه ليلة كاملة، بعد أن تحكم سدها، وإذا ما فحصتها بعد ذلك وجدت الزئبق قد تحول إلى حجر أحمر، وهذا ما يسميه العلماء بالزنجفر .

وتعليقا على نظرية جابر بن حيان فى تكوين المعادن ذهب مؤرخ العلم الشهير جورج سارتون إلى أنه منذ شرع المسلمون يتشككون فى النظريات الكيميائية القديمة بدت مرحلة وصولهم إلى مستوى عالٍ من التفكير الكيميائى. ورغم أن هذه النظرية قليلة القيمة من الناحية العلمية فى كيمياء القرن العشرين، إلا أنها تمثل إضافة علمية وتطويراً لنظرية العناصر الأربعة، ومحاولة أخرى لفهم طبيعة المادة، كما تدل دلالة واضحة على معرفة جابر بن حيان والكيميائيين المسلمين من بعده لخصائص وصفات المعادن من ناحية الصلابة والليونة، ومن ناحية قابليتها للصدأ، أو مقاومتها له، كما تشير إلى نضج علمى وتجريبي رائد. وبقيت نظرية جابر بن حيان عن الزئبق والكبريت معمولاً بها حتى القرن الثامن عشر .

واعتبر ماكس مايرهوف أن نظرية جابر هذه تعد مفتاحاً لنظرية الفلوجستون التى جاءت بعد جابر بحوالى عشرة قرون. حيث ذهب بيخر Becher سنة 1667 إلى وجود كثير من المواد القابلة للاشتعال، وليس الكبريت فقط كما قال جابر بن حيان. وهذه المواد تشتعل وليس من مكوناتها عنصر الكبريت، واستبدل بيخر بكبريت جابر عنصراً وهمياً أطلق عليه اسم Terra pingins. وجاء بعد بيخر شتال الإنجليز (ت 1771) وحاول تطوير



فكرة بيخر، وأطلق على العنصر الموهوم اسم الفلوجستون الذى يعنى باليونانية "أنا أشعل النار". وبمقتضى هذه النظرية يتحول المعدن إذا تم تسخينه فى الهواء إلى أكسيد الفلز، أو ما أطلقوا عليه اسم الكالكس الذى يُعد ناتج فقدان المعدن للفلوجستون، وذلك وفقا لهذه المعادلة:



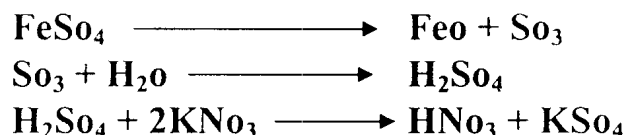
ويتضمن نظرية الفلوجستون إخراج مادة الإشتعال من العنصر وهى الفلوجستون عند الاحتراق، أغفلوا تكوين الغازات وخاصة ثانى أكسيد الكربون، ولم يدرك ذلك فيما بعد إلا الكيميائى الفرنسى لافوازيه، وأثبت خطأ نظرية الفلوجستون فى مقابل نظرية جابر بن حيان التى نادى بأن العناصر كلها تتألف من الكبريت والزنبق .

### تحضير الأحماض المعدنية

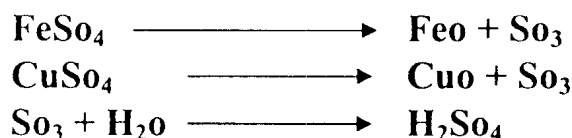
حضّر جابر الأحماض المعدنية الثلاثة الرئيسة فى الكيمياء، وهى حمض النتريك وحمض الكبريتيك، وحمض الهيدروكلوريك. وما زالت هذه الأحماض تمثل أحد الركائز الأساسية فى الكيمياء الحديثة. ويمكن الوقوف على تدابير (تجارب) جابر لتحضيرها فيما يلى:

**حمض النتريك:** عرف جابر حمض النتريك واستخدمه فى إذابة الفلزات، واشتملت تجربته لتحضيره على مزج رطل من الزاج القبرصى وهو كبريتات الحديدوز  $\text{Fe SO}_4$ ، ورطل من ملح الصخر وهو نترات البوتاسيوم أو منح البارود  $\text{KNO}_3$ ، وربع رطل من الشب اليمانى، وهو ما يُعرف فى الكيمياء الحديثة باسم  $\text{KAl (SO}_4)_2 \text{H}_2\text{O}$ . ويفسر التفاعل الكيميائى فى هذه

التجربة بأن الحرارة تفك كبريتات الحديدوز، فتعطى غاز ثانى أكسيد الكبريت وغاز ثالث أكسيد الكبريت، وتعطى هى والشب ماء التبلور. ومع مساعدة الشب فى عملية الانصهار، يذوب ثانى وثالث أكسيد الكبريت فى الماء فينتج حمض الكبريتيك الذى يتفاعل مع نترات البوتاسيوم، فيعطى حمض النتريك. وتعتبر الكيمياء الحديثة بالمعادلات عن سلسلة التفاعلات التى تمت فى تلك التجربة هكذا:

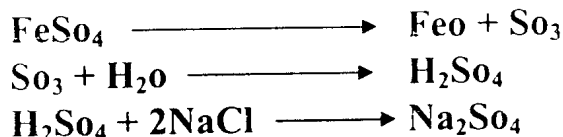


**حمض الكبريتيك:** أجرى جابر تجربة استحضار حمض الكبريتيك من الزاج الأزرق الذى سماه زيت الزاج أو الزيت المذيب، وهو كبريتات النحاس فى الكيمياء الحديثة. سخن جابر بشدة الكبريتات وبها ماء تبلور، فأعطت غاز ثانى أكسيد الكبريت وغاز ثالث أكسيد الكبريت اللذين تفاعلا مع بخار الماء الناتج من حرق الكبريت، فنتج حمض الكبريتيك وفق التفاعلات الكيميائية الحديثة الآتية:



**حمض الهيدروكلوريك:** أجرى جابر تجربة تحضير حمض الهيدروكلوريك ببتقطير مركب مخلوط من ملح الطعام وهو كلوريد الصوديوم NaCl ، والزاج القبرصى وهو كبريتات الحديدوز FeSO<sub>4</sub> ، وبسخن هذا

المخلوط تفكك الحرارة الزاج القبرصى إلى غاز ثانى أكسيد الكبريت وثالث أكسيد الكبريت، ويذوب هذان الغازان فى ماء التبلور الناتج بالحرارة عن الكبريتات، فينتج حمض الكبريتيك الذى يتفاعل مع ملح الطعام، فينتج حمض الهيدروكلوريك. ويعبر بالمعادلات فى الكيمياء الحديثة عن هذه التفاعلات الكيميائية التى أجراها جابر بن حيان هكذا:



والجدير بالذكر أن الغرب لم يعرف حمض الهيدروكلوريك، إلا فى منتصف القرن السابع عشر، حيث حضره الألمانى جلويرست 1648 بنفس طريقة تحضير جابر بن حيان، والتى مازالت قائمة فى الكيمياء الحديثة.

### اكتشافات وابتكارات أخرى

ويعد جابر بن حيان أول من حضر الماء الملكى. فبعد أن حضر كل من حمض النتريك وحمض الهيدروكلوريك، مزجهما. وأضاف إلى هذا المزيج ملح النشادر أو كلوريد الأمونيوم، فوجد أن الخليط يذيب الذهب، فسماه "ماء الذهب" أو "الماء الملكى".

واستطاع جابر تحضير الأسفيداج من الرصاص وسماه أبيض الرصاص وهو ملح كربونات الرصاص القاعدية فى الكيمياء الحديثة. الذى حضره جابر هكذا<sup>(1)</sup>: خذ رطلا من المرتك<sup>(1)</sup> اسحقه جيداً وسخنه تسخيناً

---

(i) جابر بن حيان، كتاب الخواص.

هادئاً مع أربعة أرطال من خل حتى يصبح الأخير نصف حجمه الأساسي ، ثم خذ رطلاً من الصودا<sup>(2)</sup> وسخنه مع أربعة أرطال من الماء النظيف حتى ينخفض حجم المحلول إلى النصف، ثم رشح المحلولين حتى يصبحا نظيفين جداً ثم أضف محلول الصودا تدريجياً إلى محلول المرتك، ستترتب مادة بيضاء في قاع الإناء، صب الماء أعلى الراسب، ودع الراسب يجف ليصبح ملحاً أبيضاً كالثلج.

وهذا الملح هو أبيض الرصاص كما سماه جابر، أو كربونات الرصاص القاعدية  $(Pb(OH)_2 . PbCO_3)$  في الكيمياء الحديثة. وقد انتحل الهولنديون طريقة تحضير جابر لكربونات الرصاص القاعدية ونسبوها لأنفسهم زوراً وبهتاناً، وعُرفت في تاريخ العلم باسم الطريقة الهولندية. إلا أن مؤلفات جابر بن حيان وخاصة كتاب الخواص يثبت أن رائدها الأول هو العالم المسلم جابر بن حيان، فليصحح علم الكيمياء الحديث تاريخه .

وابتكر جابر طريقة فحص النحاس نوعياً، واكتشف أن الذهب يكتسب اللون الأزرق بمركبات النحاس. ويعزى إليه عمليات كيميائية مبتكرة لتنقية المعادن وتحضير الفولاذ. وابتكر كثيراً من الأدوات والأجهزة المختبرية وصنفها وشرح كيفية عملها. كما وصف ما قام به من عمليات كيميائية كالإذابة والتكليس والتشميع والتنقية والتقطير والإختزال والبلورة وغيرها، وبيّن أهمية كل منها.

---

(1) أول أكسيد الرصاص في الكيمياء الحديثة .

(2) كربونات الصوديوم في الكيمياء الحديثة .

ويرجع الفضل إلى جابر بن حيان فى وضع أسس علم السموم من النباتات والحيوانات والأحجار، وساعده فى ذلك الاهتمام بنقّطير السوائل والعصارات الحيوانية، فوصف السموم التى استخرجها وصفا دقيقا ومقدار ما يعطى للمريض بطرق مبتكرة لدفع مضار السموم.

أسس جابر لعلم البلمرات الحديث باختراعه أنواعا كثيرة من الطلاء منها ما يقى المعادن من الصدأ، ومنها ما يحمى الأخشاب من الاحتراق، ومنها ما يقى الملابس من البلل.

وقادته تجاربه الكثيرة إلى اكتشاف نوع من الورق غير قابل للاحتراق، ولا يخفى ما لهذا الإكتشاف الخطير من أهمية فى كتابة الرسائل المهمة والعهود والعقود والمواريث ... وغيرها. ويرتبط هذا الاكتشاف أيضا قيام جابر بتحضير نوع مضيئ من الحبر (مداد) استخرجه من المرقشيتا الذهبية (كبريتيد الانتيمون)، وشكل هذا الإكتشاف أهمية خاصة حيث استخدم فى كتابة المؤلفات والمخطوطات الثمينة بدلا من الذهب الخالص، كما استخدم فى مراسلات الجيوش الحربية التى تمكنت من قراءتها فى ظلام الليل الحالك.

وبالإضافة إلى ما سبق يُعد جابر بن حيان أول من اكتشف الصودا الكاوية، وأول من اسخرج نترات الفضة والمعروفة (بحجر جهنم) واستخدمها فى كىّ الجروح والعضلات الفاسدة، وما زالت هذه المادة معروفة حتى الآن. وهو أول من لاحظ ما يحدث من ترسب كلوريد الفضة عند إضافة محلول ملح الطعام إلى محلول نترات الفضة، وعرف أيون الفضة النشاذرى المعقد. وجابر أول من استخرج ثانى أكسيد الزئبق (السليمانى) وحامض النيتروهيدروكلوريك (الماء الملكى)، وأول من أدخل طريقة فصل الذهب عن

الفضة بالحل بواسطة الحامض، ولا تزال هذه الطريقة تستخدم إلى الآن فى تقدير عيارات الذهب فى السباك الذهبية وغيرها. كما عرف جابر استخدام ثانى أكسيد المنجنيز فى صناعة الزجاج، واستحضر كربونات البوتاسيوم وكربونات الصوديوم وكبريتيد الانتيمون (الأثمد) وابتكر طريقة تصفية المعادن وتنقيتها من الشوائب المختلطة بها، وأبدع الفرن والبوتقة ليعيد ما يجرى فى الطبيعة.

## الفصل الخامس

امتداد مدرسة جابر بن حيان

حتى العصر الحديث





تعتبر مؤلفات جابر بن حيان عن مرحلة هي الأهم في تاريخ الكيمياء العربية والإسلامية، ولا تقل أهميتها في تاريخ الكيمياء العالمي. وهذا ما جعل جورج سارتون يطلق على المدة التي تقع بين سنتي (132-185هـ / 750-800م) عصر جابر بن حيان وذلك لمجهوداته العظيمة في علم الكيمياء<sup>(1)</sup>. فكان لكيمياء جابر ومؤلفاته فيها أثر واضح في تطور علم الكيمياء العربي الإسلامي لدى اللاحقين من الكيميائيين المسلمين، وامتد هذا الأثر حتى الكيميائيين الغربيين في العصر الحديث، ويمكن الوقوف على ذلك فيما يلي:

يصرح صاحب روضات الجنان<sup>(2)</sup> بعد أن فرغ من حديثه عن خالد بن يزيد بن معاوية، وكيف أنه أبدع في كتابه "الفردوس" ما لا يخفى على أهل التحصيل، بالإضافة إلى ماله في المنشور من كتب أخرى ومصنفات عاليه استفاد منها، يصرح بأن من بعده الأستاذ الكبير جابر بن حيان، فإنه الأستاذ العظيم الشأن الذي هو أستاذ كل من وصل بعده إلى هذه الصناعة. ومما لا يقبل الشك - بحسب يانيسون في كتابه قصة السيمياء وبداية الكيمياء - أن العالم المسلم الذي عاش في القرن الثامن الميلادي، جابر بن حيان كان مسيطرا على علم الكيمياء، ومن ثم أسس علم الكيمياء. ولقد أنجب هذا العالم الفذ تلاميذ أذكيا يتلمذوا على مؤلفاته مثل الرازي، وابن سينا والمجريطي. وغيرهم.

---

1- Sarton. G, Introduction to the History of Science 3 Vols. Baltimore 1929, Vo. II. p. 597.

2- الميرزا محمد باقر الموسوي الأصبهاني، روضات الجنان في أحوال العلماء والسادات، تحقيق أسد الله إسماعيليان 8 مجلدات طهران بدون تاريخ، ج2، ص219.

وإذا تتبعنا من جاء بعد جابر من مشاهير علماء المسلمين في الكيمياء، وجدنا أبا بكر الرازي الطبيب (250 - 313هـ / 864 - 925م)<sup>(1)</sup> يُرجع الإهتمام بدراسة الكيمياء إلى إدراكه أن موضوعاتها يتصل اتصالاً وثيقاً بدراسة الطب، ولذلك نراه يصنف كتاباً قيماً في الكيمياء أسماه "سر الأسرار" امتد أثره في العصور اللاحقة وعُرف في العالم الغربي باسم Libersecre Torum. وهذا الكتاب يبين أن الرازي قد عنى بعلم الكيمياء وصرف جهوداً كبيرة في إجراء التجارب الكيميائية المختلفة .

ويشتمل كتاب "سر الأسرار"<sup>(2)</sup> على ثلاثة أقسام، الأول منها في معرفة العقاقير ويحتوي على تقسيم الرازي للمواد الكيميائية إلى برانية (ترابية) وحيوانية ونباتية، والقسم الثاني في معرفة الآلات التي قسمها الرازي إلى آلات إذابة وآلات تدبير (تجريب). والقسم الثالث في معرفة التدابير أو التجارب الكيميائية التي أجراها بدقة علمية غير مسبقة انتهت بالتفاعلات الكيميائية إلى النتائج المطلوبة .

لقد تأثر الرازي بجابر تأثراً كبيراً لدرجة أنه كان ينعتّه في كتبه الكيميائية بقوله: "استاذنا أبو موسى جابر بن حيان". ودرس الرازي كل ما أتى به أستاذه جابر واستوعبه الأمر الذي قاده إلى تطوير وتحسين بعض آراء ونظريات جابر بن حيان، وأضاف للكيمياء إضافات جلية جعلت منه مؤسساً

---

(1) انظر حياة وأعمال الرازي الطبيب تفصيلاً في خالد حربي، أبو بكر الرازي حجة الطب في العالم، ط الثانية، دار الوفاء، الاسكندرية 2006 .

(2) أبو بكر الرازي، سر الأسرار، مخطوط دار الكتب المصرية، رقم 69 طبعة تيمور .

للكيمياء فى الشرق والغرب فى نظر بعض مؤرخى الغرب<sup>(1)</sup>، فلقد طور الرازى الكيمياء الطبية تطورا مهما امتد أثره إلى العصر الحديث، وذلك حينما أثبت بتجاربه الكثيرة أن شفاء المريض يرجع إلى إثارة التفاعلات الكيميائية فى جسمه<sup>(2)</sup>. وقادته تفاعلاته الكيميائية وتجاربه إلى الإبداع فى تقسيمه المواد المستعملة فى الكيمياء إلى ثلاثة أقسام: مواد برانية، ومواد نباتية، ومواد حيوانية<sup>(3)</sup>.

أما المواد البرانية أو الترابية، فقد أوضح الرازى بتجاربه كيفية تحضيرها، وميز بين الجيد منها والردئ وعرف بألوانها، وصنفها فى ستة أصناف هى: الأرواح والأجساد والأحجار، والزاجات والبوارق والأملاح.

فأما الأرواح فهى المواد التى تمتلك خاصية التطاير بالحرارة والتسخين كالكبريت والزئبق والزرنيخ والنشادر.

وأما الأجساد فهى المعادن التى تمتلك خاصية الانصهار بالحرارة كالذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والخاصين. وتتمثل الأحجار فى الزجاج والجص والمرقسيتا والبيريت والكحل. والزاجات هى مواد تشبه الزجاج إلا أنها لها ألوان مختلفة كالزجاج الأبيض (كبريتات الخاصين)، والزجاج الأزرق (كبريتات النحاس) والزجاج الأخضر (كبريتات الحديدوز). والبوارق هى أملاح قلوية تعمل على الانصهار، كبورق الخبز (كربونات

---

(1) Sarton. G, Introduction to the History of Science, P. 597

(2) خالد حربى، أبو بكر الرازى، حجة الطب فى العالم، م. س. ص.

(3) أبو بكر الرازى، سر الأسرار، مخطوط دار الكتب المصرية، رقم 69 طبيعة تيمور، مواضع مختلفة.

الصوديوم الطبيعية) والنظرون. أما الأملاح فتنتج عن تبخر ماء طبيعي كالمح الصخرى (كبريتات الصوديوم المتبلورة)، والملح المر (كبريتات المغنسيوم) وملح الرماد (كربونات الصوديوم)، والملح القلوى (كربونات البوتاسيوم) والملح الحلو أو ملح الطعام (كلوريد الصوديوم).

وأما المواد النباتية فذكر الرازى أنها نادرة التداول فى الكيمياء، ومنها الأسنان الذى يستعمل رماده فى تحضير القلى، وتشمل المواد الحيوانية المتداولة فى الكيمياء: الدم واللبن والبول والبيض والقرون والشعر والصوف.

ويعد هذا التقسيم للمواد المستعملة فى الكيمياء الذى وضعه الرازى أهم التقسيمات التى حفل بها تاريخ علم الكيمياء فى عمومها، وليس أدل على ذلك من استمراره فى الدراسات الكيميائية فى العصور اللاحقة على الرازى وحتى العصر الحديث، إذ قامت الكيمياء الحديثة على أقسام الرازى مدمجة فى قسمين، الأول قسم الكيمياء غير العضوية أى البرانية كما سماها الرازى، والآخر قسم الكيمياء العضوية ويحتوى على المواد الحيوانية والنباتية .

وفى القسم الثانى من كتاب سر الأسرار وصف الرازى الآلات الكيميائية والأجهزة التى استخدمها فى تجاربه الكيميائية وصفاً دقيقاً، وشرح طرائق استعمالها شرحاً وافياً وميَّز بين نوعين منها<sup>(1)</sup>: الأول: آلات الإذابة، وهى المنفاخ والكور والموقد والمرجل والبوتقة والماشة والمغرفة والوجان والمبرد البربوط والمكسر. والآخر آلات التدبير وهى: القرعة أو المعوجة

---

(1) أبو بكر الرازى، سر الأسرار، مخطوط دار الكتب المصرية، رقم 69 طبعة تيمور،

مواضع مختلفة

والقابلية والقارورة والعمياء والأنبيق والأثال والطابشتان والقمع والمقالة  
والتنور والمنخل والقدر والآتون والقنديل والهون والمصفاة أو الرواق  
والمهراس والسلة.

وفي القسم الثالث من كتاب سر الأسرار، وضع الرازي تدابير  
(تجاربه) الكيميائية التي أجراها بحرفية نادرة أدت إلى وصول التفاعلات  
الكيميائية إلى نتائجها الصحيحة. ويمكن الوقوف على تجارب أو تدابير  
الرازي الكيميائية من خلال تقسيمه لها إلى أربعة أنواع: هي الحل أو الإذابة  
بالماء الحار، والحل بالتقطير، والحل بالمرجل، وخمس تجارب أخرى قام بها  
الرازي في إذابة العناصر. والنوع الثاني من التجارب هو التنظيف، ويشتمل  
على تجارب وعمليات كيميائية كثيرة كالتقطير والتصعيد والتكليس والصهر  
والشي والتصدية والطبخ. والنوع الثالث من التجارب هو تجارب التشميع،  
ويقصد به إضافة بعض العناصر إلى المادة بعد تنظيفها تساعد الحرارة على  
صهرها، وأما النوع الرابع من التجارب فهو العقد الذي يُعد المرحلة الأخيرة  
للوصول إلى المركب المراد، وله أربع طرق مختلفة الأدوات لإعطاء المحلول  
بالتبخير قواماً نصف صلب أو لينا .

وكان لاهتمام الرازي بالتجارب الكيميائية واعتماده عليها أثره الواضح  
في ابتكار الكثير من الأدوات والأجهزة الكيميائية المعدنية والزجاجية  
وإستخدامها في إجراء التجارب، ومنها البوتقات والجففات والدوارق والكؤوس  
الزجاجية والخزافية والأحواض والملاقط وملاعق الإحتراق والأفران، كما  
استخدم أنواعا كثيرة من الحمامات مثل حمام البخار وحمام الرماد، وحمام  
الرممل والحمام المائي.

أن هذا التنظيم الذى اتبعه الرازى بين الأدوات والأجهزة والمواد هو نفسه التنظيم العلمى المتبع فى معامل ومختبرات الكيمياء الحديثة .

من كل ما سبق يمكن الوقوف بصورة موجزة على إنجازات الرازى الكيميائية ومآثره فيما يلى :

اعتبر الرازى أن التجربة هى المحك أو المعيار فى العمليات الكيميائية، فما تثبتته التجارب فحق مقبول وما لم تثبته فباطل مرفوض، فأرسى بذلك دعائم المنهج التجريبى فى الكيمياء سيراً على درب أستاذه جابر بن حيان. وبتطبيق المنهج التجريبى استطاع الرازى تحضير المستحضرات الكيميائية وأدخلها فى الطب، وعدّ بذلك رائد الكيمياء الطبية والصيدلانية. فالرازى أول من استخرج الكحول من النشويات والسكريات المتخمرة واستعمله صيدلاناً فى تركيب الأدوية وتحضيرها. وأبدع الرازى فى تجبير كسور العظام باستحضاره الجبس أو كبريتات الكالسيوم اللامائية عن طريق حرق كبريتات الكالسيوم المائية ومزجها بالبيض. وأبدع ولأول مرة طريقة تنقية المواد الكيميائية من الشوائب الملونة والتى مازالت مستخدمة حتى اليوم، وذلك باستخدامه الفحم الحيوانى فى قصر الألوان وإزالة الأوساخ وخاصة الملونة من المواد. وعلى الرغم من التشابه الكبير بين الصودا الكاوية (كربونات الصوديوم) والبوتاس (كربونات البوتاسيوم) فى الخواص الطبيعية والكيميائية، إلا أن الرازى ميّز بينهما تمييزاً دقيقاً أفاد الكيمياء الحديثة. وقادته تجاربه إلى أن النحاس إذا تعرض للهواء الرطب تحول إلى كربونات النحاس القاعدية الخضراء، أما إذا تم تسخينه بحرارة شديدة، فإنه يتحول إلى مادة سوداء أو أكسيد النحاسيك فى الكيمياء الحديثة. وشرح الرازى طرق وتجارب

استعمال ثانى أكسيد المنجنيز فى صناعة الزجاج، وابتكر ميزانا دقيقاً لحساب الوزن النوعى للمعادن وكثافتها أسماء بالميزان الطبيعى .

ومن الكيمائيين المسلمين الذين تأثروا بفكر وكيمياء جابر بن حيان، أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطى (338-398هـ/ 950-1008م) رائد الحركة العلمية فى الأندلس إبان القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى. آمن بنظرية جابر فى تكوين المعادن، وسيطرت عليه فكرة تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب وفضة ولشدة تأثره بكيمياء جابر ومنهجه فيها، كان ينصح بدراسة كتبه والتدريب على تجاربه، وقد أجرى هو نفسه كل تجارب جابر الكيمائية، ثم تجاربه الجديدة تلك التى انتهت به إلى إضافات كيميائية غير مسبوقة انتحلها بعض رواد الكيمياء الحديثة من الغربيين، ومنها هذه التجربة التى يصف المجريطى إجراءاتها قائلاً: أخذت الزئبق الرجراج الخالى من الشوائب، ووضعتة فى قارورة زجاجية على شكل بيضة وأدخلتها فى وعاء يشبه أوانى الطهى، وأشعلت تحته ناراً هادئة بعد أن غطيته وتركته يسخن أربعين يوماً وليلة مع مراعاة ألا تزيد الحرارة على الحد الذى استطيع معه أن أضع يدي على الوعاء الخارجى، وبعد ذلك لاحظت أن الزئبق الذى كان وزنه فى الأصل ربع رطل، صار جميعه مسحوق أحمر ناعم الملمس، وأن وزنه لم يتغير .

بهذه التجربة وضع المجريطى أساس قانون الاتحاد الكيميائى وقانون حفظ الكتلة حيث زاد وزن الزئبق نتيجة تفاعله مع الأكسجين وينتج من التفاعل أكسيد الزئبق الأحمر. ومن العجب أن يكرر بريسلى ولافوازيه نفس تجربة المجريطى بعد ستة قرون، وينسبان لأنفسهما نتائجها، وخاصة وضع المجريطى أساس قانون الاتحاد الكيميائى، وقانون حفظ الكتلة. لكن لحسن

الحظ مازالت مؤلفات المجريطى بين أيدينا وخاصة كتابيه "رتبة الحكيم" و "غاية الحكيم" اللذين دوّن فيهما هذا الكشف الكيميائى المهم، فهلا اعترف الغربيون، وصححو تاريخ الكيمياء الحديثة؟! .

أما الشيخ الرئيس ابن سينا (370-428 هـ / 980-1037م) فقد أنكر إمكان تحويل المعادن أو العناصر الخسيسة إلى ذهب وفضة، وسخر من الكيميائيين فى عصره الذين اعتقدوا ذلك وشكك فى قدراتهم على تحويل مواد صلبة من عنصر إلى آخر، فليس، كما يقول ابن سينا<sup>(1)</sup>: فى مقدور المدعين تحويل العناصر من نوع إلى آخر تحويلًا حقيقيًا، ولكن باستطاعتهم تقليد العناصر تقليدًا جيدًا من حيث اللون والمظهر فقط، فهم بإمكانهم تكوين عنصر أبيض اللون وجعله شبيها بالذهب أو النحاس، وفى مقدورهم تخلص الرصاص والقصدير من الشوائب والمثالب، وفى جميع الأحوال يبقى العنصر محافظا على تكوينه الأساسى .

ومع أن ابن سينا قد أنكر تحويل المعادن، إلا أنه سلك مسلك جابر بن حيان فى تكوين المعادن، واتبع نظريته، وأتى بنظرية متطابقة مع نظرية جابر، ومقررة أن جميع الأجساد فى الجواهر زئبق انعقد بكبريت المعدن المرتفع إليه من بخار الأرض، واختلفت لاختلاف أعراضها، ويرجع اختلاف أعراضها إلى اختلاف نسبها .

وكما تأثر ابن سينا بنظرية تكوين المعادن الجابرية، أشار أيضا إلى كثير من العمليات الكيميائية التى قام بها جابر، ومن بعده الرازى، مثل

---

(1) Holmyard, E.J: Al Echemy "Islamic alchemy" Pelicam Books. 1957, P. 93.



التريشيع والتشميع والتقطير والتصعيد والاستخلاص، واستخدم نفس أجهزة جابر الكيميائية في إجراء هذه العمليات تماماً مثلما استخلص بطريقة جابر كثيراً من المركبات الكيميائية من أصل حيواني، وأخرى من أصل نباتي.

ومن تلاميذ مدرسة جابر بن حيان الكيميائية، الطغراني، أبو إسماعيل مؤيد الدين الحسيني بن علي الأصفهاني، والطغراني نسبة إلى اشتغاله بكتابة الطرة بالقلم الجلي أعلى الكتابات والمناشير متضمنة اسم الملك وألقابه.

ولد الطغراني في مدينة جى من أعمال أصفهان سنة 453هـ/ 1061م، وتوفي سنة 515هـ 1121م وما بين المولد والمات حياة علمية حافلة بالبحث والدراسة والتأليف خاصة في الكيمياء والأدب فالطغراني من كبار أدباء الحضارة الإسلامية ومن أشهر قصائده "لامية العجم". أما الكيمياء فقد صرف الطغراني جلّ ماله وحياته في محاولة تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب وفضة وتحضير الأكسير، ووضع الطغراني مؤلفات كيميائية كثيرة منها: الرد على ابن سينا في الكيمياء، وتراكيب الأنوار في الإكسير، والجوهر النضير في صناعة الإكسير، حقائق الاستشهادات في الكيمياء، وسر الحكمة في سر كتاب الرحمة لجابر بن حيان، ورسالة باللغة الفارسية مع شرحها باللغة العربية في صناعة الكيمياء ورسالة مارية بنت سابه الملكى القبطى في الكيمياء، مفاتيح الرحمة ومصابيح الحكمة، ويأتى على قمة هذه المؤلفات من حيث الأهمية كتاب جامع الأسرار في الكيمياء، بّين فيه الطغراني وشرح مدى تأثيره بجابر بن حيان لتمكنه من الصنعة بخلاف كل من اطلع على تراثهم الكيميائي من اليونانيين والمسلمين، وانتهى إلى تمجيد جابر بن حيان.

ولم يتوقف تأثير جابر بن حيان على الكيميائيين المسلمين فحسب، بل امتد هذا التأثير إلى العالم الغربى وأسس علم الكيمياء الحديث .

لقد جاء المسيو بارتيلوفى الجزء الثالث من كتابه "الكيمياء فى العصور الوسطى، المنشور فى باريس عام 1893 بتحليل دقيق للكيميائيين العرب، ويعتقد أن كل مادتهم يمكن تقسيمها إلى قسمين أحدهما، إعادة تعبير عن بحوث الكيميائيين الإغريق فى الأسكندرية. والثانى بحوث أصيلة. ويعتبر كل هذه المادة الأصلية أثرا من آثار ما قام به جابر بن حيان الذى يصبح بهذا فى الكيمياء فى مكان أرسطو من المنطلق، وينشر بارتيلو فى كتابه ستة مؤلفات لجابر اعتبرها ممثلة لكل المادة الكيميائية العربية التى أدت إلى قيام علم الكيمياء الحديث، كما يقول ديلاسى أوليرى.

ولقد ترجمت مؤلفات جابر إلى اللاتينية فى وقت مبكر بمعرفة روبرت الشسترى (1144م) وجيرار الكريمنى (ت 1187م). وترجم أيضا مجموع الكمال "لجابر بن حيان" إلى الفرنسية سنة 1672، ومثلت هذه المؤلفات الأسس المهمة التى قام عليها علم الكيمياء الحديث.

من كل ما سبق يمكننا الزعم بأن جابرا بن حيان صاحب مدرسة كيميائية مميزة قدمت إنجازات علمية مؤتقة (بتطبيق المنهج التجريبى) وكانت بمثابة الأسس التى عملت على تطور الكيمياء العربية الإسلامية فيما بعد عصر جابر، وأسست علم الكيمياء الحديث.

## الفصل السادس

### نتائج الدراسة



سجلت فى معظم فصول هذا الكتاب بعض الاستنتاجات والنتائج التى لم يتحتم تأجيلها. وبعد أن استعرضت كل جوانب الموضوع - من وجهة نظرى - على الآن أن استخلص النتائج من خلال الإجابة على الأسئلة التى طرحتها فى مقدمته، ويمكن الوقوف على ذلك من خلال النتائج التى أطرحها فيما يلى:

بيّنت الدراسة كيف نشأ جابر بن حيان فى أسرة تشجع على العلم والبحث والدرس، حيث كان أبوه من المشتغلين بالعقاقير ويعمل صيدلانياً فى الكوفة إلى جانب عمله بالسياسة. وقد ورث جابر عن أبيه الاهتمام بالعلم والسياسة، فبدأ بالبحث ونجح فى الفوز بصداقة مجموعة من علماء ذلك العصر، ومنهم جعفر الصادق الذى تتلمذ عليه. وعن البنية المعرفية فى فكر جابر، أوضحت الدراسة كيف نشأ جابر فى عصر كان يولى اهتماماً كبيراً بالترجمة عن الأمم الأخرى، سيما اليونان. لكن جابر - كغيره من العلماء المسلمين - لم يكن مجرد ناقل عن الذين ترجموا من اليونانية إلى العربية، لكنه بعد أن درس العلم اليونانى واستوعبه ونقده، استطاع أن يضيف إليها من إبداعات عقله كإبداعه فى مفهوم القوة والفعل، ونظرية الكيفيات الأربع. وبيّنت الدراسة أن مسألة إمكان قيام علم الكيمياء فى العقل والفعل على حد سواء من أهم البنيات الأساسية التى دارت حولها معظم أبحاث جابر التى رأت أن الكيمياء مقصود بها الوسائل التى يستطيع بها الكيميائى أن يبدل طبائع الأشياء تبديلاً يحولها بعضها إلى بعض، إما بحذف بعض خصائصها أو بإضافة خصائص جديدة إليها. والصنعة هى نفى كل شئ لا يشاكل وتأليف كل شئ يوافق وإصلاح الطبائع ومزاوجة الذكر منها بالأنثى وتعديلها بالحرارة والرطوبة واليبوسة بأوزان معينة. والبحث الحديث يتجه إلى إحلال النسب

الكمية محل الخواص الكيفية فى كل تفسيرات الوجود ، وجابر رأى أن الطبائع تتغير، ولا بد لها كى تتغير من تحويل ماهيتها الكيفية إلى ماهية أخرى .

وهكذا أوضحت الدراسة أن هناك فرقاً كبيراً بين كيمياء جابر بن حيان، وبين الكيمياء القديمة، فتنسب كيمياء جابر بالاعتماد على التجربة واستبعاد الخوارق، وهى كيمياء ذات إتجاه عملى يباعد بينها وبين الكيمياء القديمة التى كثيراً ما تلجأ إلى استخدام الخوارق فى التفسير .

ومن هنا وقفت الدراسة على أبعاد المنهج التجريبي عند جابر بن حيان، وبيّنت كيف اتبع جابر هذا المنهج العلمى بأدق تفاصيله حيث اتخذ التجربة سبيلاً إلى التثبت من صحة الآراء والنظريات التى اطلع عليها، وكذلك آراءه ونظرياته التى دشنها، فما تثبته التجربة فحق ومقبول، وما لم تثبته فباطل ومرفوض. ويصرّح جابر بأن منهجه العلمى التجريبي قد ضمّنه بصورة كلية فى كتابه "الخواص" قائلاً: وهو والله قد عملته بيدي وبعقلي من قبل وبحث عنه حتى صح وامتحنته فما كذب. وهذا وصف دقيق لما يقوم به الباحث العلمى الحديث، إذ أن جابراً قد زاوج بين الفرض العقلى وبين التجربة التى تأتى لتأييده أو تكذيبه. وإذا كانت التجربة فى التصور العلمى الحديث تزود العلم بالأساس المادى الذى يثبت وجهة نظر الباحث فيما سبق له أن لاحظته من الوقائع والملاحظات، فإن جابراً قد فطن إلى هذا المفهوم وطبقه بصورة فعلية، فمن نصوصه أمكن تلمس خطوات السير فى طريق البحث العلمى، وهى خطوات تتطابق مع ما يتفق عليه معظم المشتغلين بالمنهج العلمى اليوم، وهى تتلخص فى ثلاث خطوات رئيسة: الأولى تتضمن أن

يستوحى العالم من مشاهداته فرضاً يفسر به الظاهرة المراد تفسيرها، والثانية أن يستنبط من هذا الفرض نتائج تترتب عليه، والثالثة أن يعود بهذه النتائج الى الطبيعة ليرى هل تصدق أو لا تصدق على مشاهداته الجديدة، فإن صدقت تحول الفرض إلى قانون علمي يساعد على التنبؤ بالظاهرة لو توفرت نفس الظروف. وقد أدى اتباع جابر المنهج العلمى إلى إحراز نتائج وإنجازات مهمة فى تأسيس علم الكيمياء .

فقد أجرى جابر كثيراً من التجارب على عنصر الكبريت الذى وقف أمامه طويلاً وبحث فيه كثيراً وسجل أبحاثه فى مؤلفاته حيث وصف فيها جميع صور الكبريت المعروفة حالياً مثل زهر الكبريت (الكبريت الذهبى) والكبريت المطاط والكبريت العمود، ورأى جابر أن عنصر الزئبق يتحد ببعض المعادن مثل الحديد، وبالببحث والتجارب إنتهى جابر إلى أن الزئبق يتحد بأكثر المعادن اتحاداً كيمياوياً متخذاً صورة ملاغمة عن طريق تكوين الأصرة المعدنية، تلك التى لم تعرف بعد جابر إلا فى القرن العشرين. ومن تجاربه وأبحاثه فى (الكبريت الزئبق) إنتهى جابر إلى تدشين نظريته فى تكوين المعادن ومؤداها أن الأجساد كلها فى الجواهر زئبق انعقد بكبريت المعدن المرتفع إليه فى بخار الأرض، وإنما اختلفت لاختلاف أعراضها وإختلاف أعراضها يرجع إلى إختلاف نسبها. دشّن جابر نظريته تلك مع فهمه التام أنها صورة تقريبية لما يحدث فى تكوين المعادن داخل باطن الأرض، فقد علم يقيناً أن الكبريت والزئبق اللذين يكونان المعادن هما عنصران افتراضيان وأقرب شئ إليهما الكبريت والزئبق المعروفين اللذين إذا اتحدا بالتسخين ينتج عنهما الزنجفر الذى مازال معروفاً فى الكيمياء الحديثة بالاسم

الذى أطلقه عليه جابر Cinnabar ، ويتم تحضيره فى المعامل والصناعة حالياً بنفس الطريقة التى استحضره بها جابر .

واستحضر جابر الأحماض المعدنية الثلاثة الرئيسة فى الكيمياء، وهى حمض النتريك وحمض الكبريتيك، وحمض الهيدروكلوريك. وما زالت هذه الأحماض تمثل أحد الركائز الأساسية فى الكيمياء الحديثة. وقد وقفت الدراسة على تفاصيل تجارب جابر لتحضيرها، ولاحظت أن الغرب لم يعرف حمض الهيدروكلوريك إلا فى منتصف القرن السابع عشر، عندما حضره الألمانى جلوبر سنة 1648 بنفس طريقة تحضير جابر بن حيان، والتى مازالت قائمة فى الكيمياء الحديثة. وأوضحت الدراسة كيف يُعد جابر أول من اكتشف الصودا الكاوية، وأول من استخرج نترات الفضة والمعروفة (بحجر جهنم) وما زالت هذه المادة مستخدمة حتى الآن. وهو أول من لاحظ ما يحدث من ترسيب كلوريد الفضة عند إضافة محلول ملح الطعام إلى محلول نترات الفضة، وعرف أيون الفضة النشاذرى المعقد. وجابر أول من استخرج ثنائى أكسيد الزئبق (السليمانى) وحامض النيتروهيدروكلوريك (الماء الملكى) وأول من أدخل طريقة فصل الذهب عن الفضة بالحل بواسطة الحامض، ولا تزال هذه الطريقة تستخدم إلى الآن فى تقدير عيارات الذهب فى السبائك الذهبية وغيرها. كما عرف جابر استخدام ثنائى أكسيد المنجنيز فى صناعة الزجاج، واستحضر كربونات البوتاسيوم وكربونات الصوديوم وكربونات الرصاص القاعدى، وكبريتيد الأنتمون (الأثمد) وابتكر طريقة تصفية المعادن وتنقيتها من الشوائب المختلطة بها، وأبدع جابر الفرن والبوتقة ليعيد ما يجرى فى الطبيعة. واستطاع جابر تحضير الاسفيداج من الرصاص وسماه أبيض الرصاص، وهو ملح كربونات الرصاص القاعدية فى الكيمياء الحديثة. وقد انتحل



الهولنديون طريقة تحضير جابر لكاربونات الرصاص القاعدية ونسبوها لأنفسهم زوراً وبهتاناً، وعُرفت في تاريخ العلم باسم الطريقة الهولندية، إلا أن الدراسة أثبتت أن مؤلفات جابر بن حيان، وخاصة كتابه الخواص، يؤكد أن رائدها الأول هو العالم المسلم جابر بن حيان الذي ابتكر أيضاً طريقة فحص النحاس نوعياً، واكتشف أن الذهب يكتسب اللون الأزرق بمركبات النحاس ويعزى إليه عمليات كيميائية مبتكرة لتنقية المعادن وتحضير الفولاذ .

وأثبتت الدراسة أن الفضل يرجع إلى جابر بن حيان في وضع أسس علم السموم، إذ استخرج عدداً كبيراً من السموم من النباتات والحيوانات والأحجار، وساعده في ذلك اهتمامه بتقطير السوائل والعصارات الحيوانية، فوصف السموم التي استخرجها وصفاً دقيقاً ومقدار ما يعطى للمريض بطرق مبتكرة لدفع مضار السموم. كما يُعد جابر بن حيان مؤسس علم البلورات الحديث بإخترائه أنواعاً كثيرة من الطلاء منها ما يقي المعادن من الصدأ، ومنها ما يحمي الأخشاب من الاحتراق، ومنها ما يقي الملابس من البلى، وقادته تجاربه الكثيرة إلى اكتشاف نوع من الورق غير قابل للاحتراق، واستخرج من المرقشيا الذهبية (كبريتيد الانتيمون) نوعاً مضيئاً من الحبر. وابتكر جابر كثيراً من الأدوات والأجهزة المختبرية، وصنفها وشرح كيفية عملها. كما وصف ما قام به من عمليات كيميائية كالإذابة والتكليس والتشميع والتصعيد والتنقية والتقطير والاختزال والبلورة، وغيرها، وبين أهمية كل منها .. إلى غير ذلك من الإنجازات التي جعلت جابر بن حيان صاحب مدرسة كيميائية مميزة عملت على تطور الكيمياء الإسلامية فيما بعد عصر جابر، وأسست علم الكيمياء الحديث. فلقد أثبتت الدراسة وأوضحت أن جابراً يُعد أستاذ كل من وصل بعده إلى هذه الصناعة. ومما لا يقبل الشك بشهادة الغربيين

أن العالم المسلم جابر بن حيان كان مسيطرًا على علم السيمياء، ومن ثم أسس علم الكيمياء ولقد أنجب هذا العالم الفذ تلاميذ أذكىاء تتلمذوا على مؤلفاته مثل الرازى والمجريطى وابن سينا .. وغيرهم .

وتتبعَت الدراسة مدى أثر جابر فى هؤلاء التلاميذ الذين يشكلون مدرسة علمية ممتدة، فوجدت أبا بكر محمد بن زكريا الرازى يتأثر تأثراً كبيراً بجابر لدرجة أنه كان ينعته فى كتبه الكيميائية بقوله: "أستاذنا جابر بن حيان". ودرس الرازى كل ما أتى به أستاذه جابر واستوعبه الأمر الذى قاده إلى تطوير وتحسين بعض آراء ونظريات جابر، وأضاف للكيمياء إضافات جلية جعلت منه مؤسساً للكيمياء فى الشرق والغرب فى نظر بعض مؤرخى الغرب. فلقد طوّر الرازى الكيمياء الطبية تطوراً مهماً إمتد أثره إلى العصر الحديث، وذلك حينما أثبت بتجاربه الكثيرة أن شفاء المريض يرجع إلى إثارة التفاعلات الكيميائية فى جسمه. وقادته تفاعلاته الكيميائية وتجاربه إلى الإبداع فى تقسيمه المواد المستعملة فى الكيمياء إلى ثلاثة أقسام: مواد برانية (ترايبية) ومواد نباتية، ومواد حيوانية. وأعتبر الرازى أن التجربة هى المحك أو المعيار فى العمليات الكيميائية، فما تثبتته التجارب فحق ومقبول، وما لم تثبتته فباطل ومرفوض، فأرسى بذلك دعائم المنهج التجريبى فى الكيمياء سيراً على درب أستاذه جابر بن حيان. وبتطبيق المنهج التجريبى وتأثره بجابر، استطاع الرازى تحضير المستحضرات الكيميائية وأدخلها فى الطب، وعُدّ بذلك رائداً للكيمياء الطبية والصيدلانية. فالرازى أول من استخرج الكحول من النشويات والسكريات المتخمرة واستعمله صيدلاناً فى تركيب الأدوية وتحضيرها، وفادته تجاربه إلى أن النحاس إذا تعرض للهواء الرطب تحول إلى كربونات النحاس القاعدية الخضراء، أما إذا تم تسخينه بحرارة شديدة، فإنه يتحول إلى

مادة سوداء أو أكسيد النحاسيك في الكيمياء الحديثة. وشرح الرازي طرق وتجارب استعمال ثاني أكسيد المنجنيز في صناعة الزجاج، وابتكر ميزانا دقيقا لحساب الوزن النوعي للمعادن وكثافتها أطلق عليه اسم "الميزان الطبيعي" وابتكر الرازي كثيراً من الأدوات والأجهزة الكيميائية المعدنية والزجاجية واستخدمها في إجراء التجارب ومنها: البوتقات والجففات والدوارق والكؤوس الزجاجية والخزافية والأحواض والملاقط وملاعق الاحتراق والأفران. وبيّنت الدراسة أن هذا التنظيم الذي اتبعه الرازي بين الأدوات والأجهزة والمواد هو نفسه التنظيم العلمي المتبع في معامل ومختبرات الكيمياء الحديثة. وأبدع الرازي في تجبير كسور العظام باستحضاره الجبس أو كبريتات الكالسيوم اللامائية عن طريق حرق كبريتات الكالسيوم المائية ومزجها بالبيض، وأبدع الرازي ولأول مرة طريقة تنقية المواد الكيميائية من الشوائب الملونة والتي مازالت مستخدمة حتى اليوم، وذلك باستخدامه الفحم الحيواني في قصر الألوان وأزالة الأوساخ وخاصة الملونة من المواد. وعلى الرغم من التشابه الكبير بين الصودا الكاوية (كربونات الصوديوم) والبوتاس (كربونات البوتاسيوم) في الخواص الطبيعية والكيميائية، إلا أن الرازي ميّز بينهما تمييزاً دقيقاً أفاد الكيمياء الحديثة .

وبيّنت الدراسة أن من تلاميذ مدرسة جابر بن حيان الكيميائية، أباقاسم مسلمة بن أحمد المجريطي رائد الحركة العلمية في الأندلس إبان القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. آمن بنظرية جابر في تكوين المعادن، وسيطرت عليه فكرة تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب وفضة. ولشدة تأثره بكيمياء جابر ومنهجه فيها، كان ينصح بدراسة كتبه والتدريب على تجاربه، وقد أجرى هو نفسه كل تجارب جابر الكيميائية، ثم أجرى تجاربه الجديدة

والتي انتهت به إلى إضافات كيميائية غير مسبقة، انتحلها بعض رواد الكيمياء الحديثة من الغربيين، ومنها التجربة التي وضع بها المجريطى أساس قانون الاتحاد الكيميائى وقانون حفظ الكتلة. وبعد ستة قرون كرر بريسلى ولافوازيه نفس تجربة المجريطى ونسبا لأنفسهما نتائجها وخاصة وضع المجريطى أساس قانون الاتحاد الكيميائى وقانون حفظ الكتلة. لكن الدراسة أثبتت أن مؤلفات المجريطى الكيميائية وخاصة كتابيه "رتبة الحكيم" و "غاية الحكيم" تحوى هذا الكشف الكيميائى المهم، ودعت الغربيين إلى تصحيح تاريخ الكيمياء الحديثة .

وعلى الرغم من أن الشيخ الرئيس ابن سينا - كما وجدت الدراسة - قد أنكر إمكان تحويل المعادن أو العناصر الخسيسة إلى ذهب وفضة ، إلا أنه سلك مسلك جابر بن حيان فى تكوين المعادن، واتبع نظريته، وأتى بنظرية متطابقة مع نظرية جابر ومقررة أن جميع الأجساد فى الجواهر زئبق انعقد بكبريت المعدن المرتفع إليه من بخار الأرض، واختلفت لاختلاف أعراضها، ويرجع اختلاف أعراضها إلى اختلاف نسبها. وأشار ابن سينا إلى كثير من العمليات الكيميائية التى قام بها جابر، ومن بعده الرازى، مثل الترشيح والتشميع والتقطير والتصعيد والاستخلاص، واستخدم نفس أجهزة جابر الكيميائية فى إجراء هذه العمليات تماماً مثلما استخلص بطريقة جابر كثيراً من المركبات الكيميائية من أصل حيوانى وأخرى من أصل نباتى. ومن ابن سينا انتقلت الدراسة إلى تلميذ آخر فى مدرسة جابر بن حيان الكيميائية، وهو الطغرائى الذى صرف جلّ ماله وحياته فى محاولة تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب وفضة وتحضير الأكسير، ووضع مؤلفات كيميائية كثيرة أتى على قمّتها من حيث الأهمية كتابه "جامع الأسرار فى الكيمياء" الذى بيّن فيه،

وشرح مدى تأثيره بجابر بن حيان لتمكّنه من الصنعة بخلاف كل من اطلع على تراثهم الكيميائي من اليونانيين والمسلمين، وانتهى إلى تمجيد جابر بن حيان.

وكشفت الدراسة عن أن تأثير جابر بن حيان لم يتوقف على الكيميائيين المسلمين فحسب، بل امتد هذا التأثير إلى العالم الغربي وأسس علم الكيمياء الحديث. فلقد تُرجمت مؤلفات جابر إلى اللاتينية في وقت مبكر بمعرفة روبرت الشُستري (ت 1144) وجيرار الكريموني (ت 1187)، وترجم أيضا "مجموع الكمال" لجابر بن حيان إلى الفرنسية سنة 1672، وهذا ما جعل المسيو بارتيلو في كتابه الكيمياء في العصور الوسطى "المنشور في باريس سنة 1893 يعلن أن جابراً في الكيمياء في مكان أرسطو في المنطق. وينشر بارتيلو في كتابه سنة كتب لجابر واعتبرها ممثلة لكل المادة الكيميائية العربية الإسلامية التي أدت إلى قيام علم الكيمياء الحديث .

يتبين من كل ما سبق أن العمل العلمي الذي قُدم في هذا الكتاب يدل بصورة قوية على أن جابر بن حيان صاحب مدرسة كيميائية ممتدة عملت على تطور علم الكيمياء في العصور اللاحقة عليه، وأسست علم الكيمياء الحديث.

وتلك هي النتيجة النهائية التي تنتهي إليها هذه الدراسة

والله أعلى وأعلم .



ملحق (\*)

## قطوف من نصوص جابر بن حيان

---

\* عسى ينشرها بول كراوس، مكتبة الخانجي القاهرة 1354هـ .





## كتاب الحدود

الحمد لله الذى لا يُحد بحدّه. ولا يوصف بمعنى ذى وصف. ولا  
يجرى عليه صفات المخلوقين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين  
والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

اعلم أنّ لنا كتباً فى الحدود ذوات أفانين ومتصرفات متباينة بحسب  
طبقات العلوم التى قصد بها قصدها وأمر بها نحوها، فهذا الكتاب، فمنزلة من  
الشرف كمنزلة العلوم التى اختصت بها هذه الكتب. وما يمر بك فيها إن كنت  
تعقل ما نقول مُعْزٍ عن وصفها ومدحها عندك ويتسهل على فضلها، وإن لم  
تفهم ما يمر بك فيها فما منزلتك أن نمدحها، ولا أن نُقرّ لك بشئ منها فضلاً  
عن أن تراها وتلمسها وتقرأها .

واعلم أن الغرض بالحدّ هو الإحاطة بجوهر المحدود على الحقيقة  
حتى لا يخرج منه ما هو فيه ولا يدخل فيه ما ليس منه. ولذلك صار لا  
يحتمل زيادة ولا نقصاناً، إذ كان مأخوذاً من الجنس والفصول المحدثة للنوع،  
إلا ما كان من الزيادات من آثار فصوله المحدثة لنوعه بالكل لا بالجزء،  
كالضحك للإنسان وذى الرجلين فيه وأشباه ذلك. ولذلك قيل فى الحد إنه لا  
يحتمل الزيادة والنقصان، وإن الزيادة فيه نقصان من المحدود، والنقصان منه  
زيادة فى المحدود. وذلك على ما قدّمناه لك مراراً. فأما الزيادة فيه فتقسم  
قسمين: فما كان منها ليس من أثر الفصول وخواصها بالكل لا بالجزء فهى  
ناقصة من المحدود، وما كان من أثرها وخواصها بالكل لا بالجزء فليس  
بناقص من المحدود ولا زائد فيه . فأما النقصان من الحدّ فهو زيادة فى  
المحدود لا محالة على أى وجوه كان النقصان منه. والعلة فى ذلك أن الحدّ

على ما رتبته القوم مأخوذ من الجنس وفصوله المحدثه لذلك النوع المقصود بالحدّ إليه. فإذا نقص منها فصل دخل في النوع ما عدم ذلك الفصل وما وجد فيه لاشتراكهما في الجنس الذي هما تحته، فحصلت الزيادة في النوع المحدود. كما أنا إذا قلنا في حد الحمار إنه حيوان ذو أربع قوائم فنقصنا فصله المتمم لنوعه وهو النهاق زاد المحدود لا محالة إذا كان ذو أربع قوائم يجمع الحمار وغير الحمار من الخيل والبغال والجمال وغير ذلك من ذوات الأربع قوائم.

وكذلك إذا زدنا في حد الإنسان ما ليس هو بأثر كلي ولا خاصية مساوية لفصله المحدث لنوعه من أثر جزئي أو عرض لم يؤثره فصله حصل النقصان من المحدود ضرورة. ألا ترى أنا إذا قلنا في حد الإنسان إنه حي ناطق مهندس أو نحوي أو كاتب أو كانت نقص ضرورة المحدود وهو الإنسان، لأن من ليس بكاتب أو نحوي أو مهندس بمقتضى هذا الحد لا يجب كونه إنساناً، وليس الأمر كذلك. وهذه الزيادة من أثر فصله المحدث لنوعه، لكنها جزئية لا كلية وناقصة لا مساوية.

وكذلك إذا زدنا عرضاً ليس من آثار الفصل كأننا نقول إن الإنسان حي ناطق أسود نقص المحدود لا محالة، لأن الأبيض حينئذ على هذا الحد لا يجب كونه إنساناً. فإذا جننا بالمساوي وزدناه عرضاً كان أو خاصة لم ينقص المحدود، كأننا نقول إن حد الإنسان أنه حي ناطق مائت ضحك فنأتى بالخاصة، عريض الأظفار وذو الرجلين فنأتى بالعرض لم ينقص المحدود، لأنه لا إنسان إلا وهذه حاله .

وإذ قد بان هذا من أمر الحد ووضح الغرض به وكيفية دلالاته على حقيقة المحدود وظهر ما ينقص منه ويزيد فيه من زيادة ونقصان وما لا ينقص

منه ولا يزيد فيه من الزيادات، فلنقل في حدود ما يحتاج إلى ذكر حدوده نتعرف حقائقه على الصحة فنعلم عند ذكرنا لها في هذه الكتب في مواضعها الخاصة بها لكل واحد منها علماً لا يتطرق إليه الشك .

فأقول: إن هذه العلوم المذكورة في هذه الكتب لما كانت على ضربين: علم الدين وعلم الدنيا فكان علم الدين فيها منقسماً قسمين: شرعياً وعقلياً، وكان العقلي منها منقسماً قسمين: علم الحروف وعلم المعاني، وكان علم الحروف منقسماً قسمين: طبيعياً وروحانياً، والروحاني منقسماً قسمين: نورانيا وظلمانياً، والطبيعي منقسماً أربعة أقسام: حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة، وعلم المعاني منقسماً قسمين: فلسفياً وإلهياً، وعلم الشرع منقسماً قسمين: ظاهراً وباطناً؛ وعلم الدنيا منقسماً قسمين شريفاً ووضيعاً، فالشريف علم الصناعة، والوضيع علم الصنائع، وكانت الصنائع التي فيه منقسمة قسمين: منها صنائع محتاج إليها في الصناعة، وصنائع محتاج إليها في الكفاية والاتفاق على الصناعة منها، فإذا كان جميع ما نذكره في هذه الكتب غير خارج من هذه الأقسام. وذلك أن ما فيها من العلوم الطبيعية والنجومية والحسابية المارة في خلالها والهندسية داخل في جملة العلم الفلسفي، وما فيها من صنائع الأدهان والعطر والأصباغ وغير ذلك داخل في القسم الذي يُراد للكفاية والاستعانة بما يتفق منه على الصناعة. فأما علم الصناعة فمنقسم قسمين: مراد لنفسه ومراد لغيره، فالمراد لنفسه هو الإكسير التام الصابغ، والمراد لغيره على ضربين: عقاقير وتدابير، فالعقاقير على ضربين: حجر وهو المادة وعقاقير يدبّر بها، والتدابير على ضربين: جواني وبراني؛ فالجواني على ضربين: أحمر وأبيض، والبراني على هذين الضربين أيضاً، لكنه ينقسم أقساماً تكاد تكون بلا نهاية غير أن ما في هذه الكتب منها أشرفها. والعقاقير التي يدبّر بها على ضربين: بسائط

ومركبة، فالبسائط هي كل غبيط لم يدخله تدبير، والمركبة هي الأركان، فأما الإكسير فعلى ضربين: أحمر وأبيض.

فهذه جميع أقسام هذه العلوم الداخلة في هذه الكتب المنصوص عليها منها. ونحتاج أن نقول في حدودها بما يفصحها ويكشف عن حقائقها، ونقلد البغى في ذلك الناظر فيها والمتولى لدرسها - والله تعالى نسأل توفيقنا لما يرضيه - فقد علم غرضنا ورأينا فيما نأتى به ونبديه من أسرار هذه العلوم المكتومة. ويكون ما نورده من هذه الحدود على توالى القسمة التى قسمنا هذه العلوم عليها، ليكون ذلك أشرح وأبين وأوضح. والله استعين فى ذلك، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فأقول: إن حدّ علم الدين أنه صور يتحلّى بها العقل ليستعملها فيما يرجو الانتفاع به بعد الموت. وليس يعترض على هذا طلب رئاسة الدنيا بها، ولا إعظام الناس لها من أجلها، ولا الحيلة عليهم باظهارها، لأن كل ذلك ليس هو لها بالذات لكن بطريق العرض. الحدّ إنما هو مأخوذ من الجنس والفصول الذاتية، فاعلم ذلك وتبينه. وأعرف قدر هذا الكتاب، فلو قلت أن ليس فى جميع كتبنا هذه الخمس مائة كتاب إلا مقصراً عنه فى الشرف لقلت حقاً. فإذا كانت كتبنا هذه أشرف من جميع ما لنا وأشرح وأبين منها وأفضل لما فيها من علوم سادتنا ومن جميع ما للناس غيرنا، فقد صار هذا الكتاب أفضل من جميع ما فى العالم من الكتب لنا ولغيرنا بجمعه حقائق ما فى هذه الكتب على أبين الوجوه وأصح الحدود، وأوضح الطرق، فاعلم ذلك

وحد علم الدنيا أنه الصور التى يقتنيها العقل والنفس لاجتلاب المنافع ودفع المضار قبل الموت. وإنما قلنا فى هذا الحد " يقتنيها العقل والنفس، لأن

من المنافع دفع المضار أشياء متعلقة بالشهوة وهى من خواص النفس ، فعلم هذه مقصور على النفس إذ كان العقل عدواً للشهوة. ومنها أشياء متعلقة بالرأى، فعلمها مقصور على العقل. فلذلك احتجينا فى الحد إليهما .

وحد العلم الشرعى أنه العلم المقصود به أفضل السياسات النافعة دينا ودنيا لما كان من منافع الدنيا نافعا بعد الموت. وإنا خصصنا هذا النوع من منافع الدنيا لأن ما لم يكن من منافعها هذه حاله ولا تعلق له بالدين فليس قصد الحد إليه .

وحد العلم العقلى أنه علم ما غاب عن الحواس وتحلى به العقل الجزئى من أحوال العلة الأولى وأحوال نفسه وأحوال العقل الكلى، والنفس الكلية والجزئية فيما يتعجل به الفضيلة فى عالم الكون ويتوصل به إلى عالم البقاء .

وحد علم معنى الحروف أنه العلم المحيط بمباحث الحروف الأربعة من الهلية والمائية والكيفية واللمية .

وحد علم معانى الحروف أنه العلم بالمحيط بما اقتضته الحروف اقتضاءً طبيعياً معلوماً بالبرهان من الجهات الأربع وهى الهلية والمائية والكيفية واللمية.

وحد معانى علم الحروف الطبيعى أنه العلم بالطبائع الخاصة بكل سبعة من الحروف فى النوع وبواحد واحد منها فى الشخص .

وحد علم الحروف الروحانى أنه العلم بما هى أثر له من النور والظلمة وبكونها أشكالا لهما على حق وجودهما بالتأثير وأصدقهما.

وحد العلم النوراني أنه العلم بحقيقة النور الفائض على الكل. وحد العلم الظلماني أنه العلم بالضد للنور وكيفية مضادته له ولميته. وإنما لم نذكر الهلية والمائية في هذا العلم لأن العلم بأحد الضدين علم بالآخر في الجملة .

وحد علم "الحرارة" هو العلم بجوهرها وأثرها وما تأثرت منه إذا كان علماً بها على التفصيل، فأما إذا كان علماً بها على الجملة فهو العلم بأثرها الخاص بها .

وحد العلم بالبرودة هو العلم بجوهرها وأثرها وما تأثرت منه على التفصيل، وبأثرها على الجملة .

وحد علم الرطوبة هو العلم بجوهرها وخاصتها وما تأثرت منه على التفصيل، وبأثرها على الجملة. وإنما لم نقل بأثرها لأنها منفعة لا فاعلة .

وحد علم اليبوسة هو العلم بخاصتها وجوهرها وما تأثرت منه على التفصيل، وبخاصتها على الجملة. وإنما لم نقل بأثرها لأنها منفعة لا فاعلة.

وحد العلم الفلسفي أنه العلم بحقائق الموجودات المعلولة.

وحد العلم الإلهي أنه العلم بالعلة الأولى وما كان عنها بغير واسطة أو بوسيط واحد فقط. وأنما قلنا هذا لأن حلية الوسط لم يبلغ به حد التركيب.

وحد علم الشرع هو العلم بالسنن النافعة إذا استعملت على حقائقها فيما بعد الموت وقبله من الأشياء النافعة فيما بعده، أو النافعة فيما ينفع فيما بعد الموت.

وحد علم الظاهر هو العلم بالسنن العلمية على الأمر الكلي اللائق بالطبيعة والعقول والنفوس الطبيعية.

وحد علم الباطن أنه العلم بعلم السنن وأغراضها الخاصة بالثقفة  
بالتقوى الإلهية.

وحد علم الدنيا أنه العلم بالنافع والضار وما جلب المنافع منها أو أعا  
فيه ودفع المضار منها أو أعا على ما تدفع به .

وحد علم الدنيا الشريف هو العلم بما أغنى الإنسان عن جميع الناس  
فى قوام حياته الجيدة .

وحد علم الدنيا الوضيع هو العلم بما يوصل إلى اللذات والمنافع وحفظ  
الحياة قبل الموت.

وحد علم الصنائع أنه العلم بما يحتاج الناس إليه فى منافع ديارهم .

وحد علم الصنائع المحتاج إليها فى علم الدنيا الشريف هو العلم بما لا  
يتم علم الدنيا الشريف إلا به .

وحد علم الصنائع المحتاج إليها للكفاية والمعونة على علم الدنيا  
الشريف هو العلم بما يتوصل به مع إقامة الحياة إلى إستفادة فضل كاف فيما  
يراد من المعونة على العلم الشريف كفاية جزئية أو كلية .

وحد علم الصنعة أنه العلم بالأكسير . فإذا دبر تدبيراً ما كان منه علم  
الدنيا الشريف .

وحد العلم بما يُراد من العلم الشريف لنفسه هو العلم الذى لا يطلب  
بعد معلومة شئ من مطالب الدنيا الصناعية لسد الفاقة والحاجة

وحد العلم بما يُراد لغيره أنه العلم بما لا يتم ذلك الغير إلا به ، إذ كان ذلك الغير مقصودا إليه مراد التمام .

وحد العلم بالإكسير هو العلم بالشئ المدبّر الصابغ القالب لأعيان الجواهر الذائبة الخسيسة إلى أعيان الجواهر الذائبة الشريفة .

وحد العلم بالعقاقير هو العلم بالأحجار والمعادن المحتاج إليها في بلوغ الأكسير والوصول إليه .

وحد العلم بالتدابير أنه العلم بالأفعال المغيرة لأعراض ما حلت فيه إلى أعراض آخر أشرف منها وأسوق إلى تمام الإكسير .

وحد العلم بالحجر الذي هو المادة للإكسير هو العلم بالذات التي تحتاج إلى تبديل أعراضها لتصير إكسيراً .

وحد العلم بالعقاقير الداخلية في تدبير هذا الحجر هو العلم بالجواهر المعدنية ذوات الخواص التي تغير أعراض هذا الحجر المراد تغييرها .

وحد العلم الجواني أنه العلم بالشئ المدبر من داخل الإستحالات .

وحد العلم البراني أنه العلم بما يدبر من خارج تدبيراً يقل الإنتفاع به في الشرف .

وحد العلم بالأحمر الجواني أنه العلم بما يصبغ الفضة ذهباً لأجل ما هو عليه من اللون عند التمام

وحد العلم الأبيض الجواني هو العلم بما يصبغ النحاس فضة لما هو عليه عند التمام .



وحد العلم بالبرانى الأحمر أنه العلم الذى يصبغ الفضة ذهباً

وحد العلم بالبرانى الأبيض أنه العلم بما يصبغ النحاس فضة وتكون  
الفضة إما ظاهراً أو غائصاً عند التمام

وحد العلم بالعقاقير البسيطة أنه العلم بما لم يدخله التدبير المقصود به  
الصنعة من الأشياء المحتاج إليها فيها

وحد العلم المركب من العقاقير أنه العلم بما دخله التدبير المقصود به  
الصنعة من الأشياء التى يحتاج إلى علاج بالصنعة إليها حاجة مزاج  
واختلاط، وإنما ذكرنا هذا اختصاص فى الحاجة لتلا يشكل عليك فى الأوانى  
والآلات وما جرى مجراها .

وحد العلم بالغبيط هو العلم على ما كان من خلقته الأولى التى هو بها  
هو هو .

وحد العلم بالأركان هو العلم بما يكون عن اجتماعه وتدبيره التدبير  
الذى له الإكسير .

وحد العلم بالإكسير الأحمر أنه العلم بما يصبغ الفضة ذهباً لما هو  
عليه .

وحد العلم بالإكسير الأبيض أنه العلم بما يصبغ النحاس أو الرصاص  
فضة لما هو عليه .

وبد قد أتينا على حدود العلم بهذه الأشياء من طريق التعليم فلنذكر  
حدودها أنفسها ليكون الكتاب تاماً .

فأقول: إن حد الدين هو الأفعال المأمور بأتيانها للصلاح فيما بعد الموت .

وإن حد الدنيا أنها جميع ما فى عالم الكون من الحوادث الضارة والنافعة بأى وجه كان ذلك فيها

وإن حد الشرع أنه السنن المقصود بها سياسة العامة على وجه يصلحون فيه صلاحاً نافعاً فى عاجل أمرهم وآجله .

وإن حد العقل أنه الجوهر البسيط القابل لصور الأشياء ذوات الصور والمعانى على حقائقها كقبول المرأة لما قابلها من الصور والأشكال ذوات الألوان والأصباغ.

وإن حد الحروف أنها الأشكال الدالة بالمواضعة على الأصوات المقطعة تقطيعاً يدل بنظمه على المعانى بالمواطأة عليها .

وإن حد المعانى أنها الصور المقصود بالحروف إلى الدلالة عليها

وإن حد الطبيعة أنها سبب إلى الكائن عنها عن الأمور الكائنة الفاسدة

وإن حد الروح هو الشئ اللطيف الجارى مجرى الصورة الفاعلة

وإن حد النور أنه الجوهر المكسب جميع الأشياء بياضاً مشرقاً بالممازجة بحسب قبول تلك الأشياء على اختلافها فى القبول

وإن حد الظلمة إنها عدم النور من الأشياء العادمة له أو لأثره وتلك هى الأشياء العادمة لأثره هى التى يقال لها ظلمانية، والقابلة لأثره هى التى يقال لها نورانية .

وإن حد الحرارة أنها غليان الهبولى، وهى حركتها فى الجهات كلها.

وإن حد البرودة أنها حركة الهبولى من محيطها إلى مركزها .

وحد الرطوبة أنها مادة الحرارة فى حركتها وغذائها المحي لها .

وحد اليبوسة أنها المفارقة بين الأشياء المجتمعة تفريقاً طبيعياً. وإنما قلنا تفريقاً طبيعياً لئلا يلتبس عليك بتفريق الصناعة، لأننا قد نقطع الشئ بالسكين وليس السكين ييبوسة. وإن فرقنا بين الأشياء المتصلة فذلك منسوب إلى الصناعة لا إلى الطبيعة .

وحد الفلسفة أنها العلم بالأمور الطبيعية وعللها القريبة من الطبيعة من أعلى، والقريبة والبعيدة من أسفل .

وحد العلوم الإلهية أنها علوم ما بعد الطبيعة من النفس الناطقة والعقل والعلة الأولى وخواصها .

وحد الظاهر أنه العلم بالمعرفة عند من دخل تحته .

وحد الباطن أنه الغرض المستور المراد بالظاهر .

وحد الشريف أنه المستغنى عن غيره فيما تحتاج إليه الأشياء بعضها إلى بعض .

وحد الوضع أنه المحتاج إلى غيره حاجة تقتضى تفضيله عليه.

وحد الصنعة أنها الآلة الموصلة إلى استغناء الإنسان بنفسه عن من سواه فى المكاسب من جهة غير معتادة .

وحد الصنائع أنها الأفعال الموصلة إلى المنافع الدنية أو المتوسطة من  
الجهات المعتادة

وحد ما يراد من الصنعة لنفسه أنه الشئ الذى إليه يقصد بالتدبير  
للصنعة .

وحد ما يراد منها لغيره أنه الشئ الذى يقصد به قربها لما يراد لغيره.  
وحد العقاقير أنها الأجسام الواقع عليها التدبير .

وحد التدبير أنه الأفعال المقصود بها بلوغ المراد لنفسه من الصنعة.

وحد الحجر أنه الجوهر المطلوب منه الغنى عن الغير من وجه  
شريف غير معتاد إذا وقع التدبير عليه بأسره .

وحد الجوانى أنه المدبر معا من أول الأمر تدبيرا يقصد به إلى غاية  
ما فى الصنعة بالقوة.

وحد البرانى أنه المدبر الأركان على انفراد فى أول الأمر تدبيرا لا  
يقصد به إلى غاية ما فى الصنعة مع العلم بما يكون عنه قبل كونه.

وحد الصبغ الأحمر أنه ما كان غائضا منه فى الأجساد الذائبة إما  
أحمر أو أصفر أو مسكيا بين الصفرة والحمرة ، فاعلم ذلك .

وحد الصبغ الأبيض أنه الغائض فى الأجساد الذائبة وهو أبيض يقق  
أو أغبر أو أحمر كمد ، فاعلم ذلك .

وحد السبغ الغبيط هو ما لا تدبير فيه من تدابير الصنعة .

وحدّ المركب هو ما دخله التدبير مع غيره .

وحدّ الركن هو ما لها من المركبات المدبّرة للمزاج بما بلغ في التدبير  
مثل منزلته.

وحدّ الأكسير التام أنه الصايغ للجوهر الذائب المقصود به صبغه  
صبغاً ثابتاً على المحنة بانقلابه من نوعه إلى نوع هو أشرف منه .

وحدّ الأكسير الأحمر التام أنه ما صبغ الفضة ذهباً خالصاً صائراً على  
ما يصير عليه الذهب مختصاً بجميع خواصه .

وحدّ الأكسير الأبيض التام أنه الصايغ للنحاس فضة بيضاء جامعة  
لخواص الفضة بأسرها، المصلح لجميع الأجساد غير النحاس، المبيض الذهب  
القالب له عن نوعه إلى نوع الفضة إلا في صبره على النار وخواصه  
الشريفة ، فإنه لا يغير شيئاً منها.

وإذ قد انتهى القول إلى هذا الموضع وفرغنا من جميع الحدود للعلوم  
والمعلومات المذكورة في هذه الكتب، وقد كنا وضعنا فيها كتباً في النفس  
والحركة والمتحرك والحس والمحسوس والفاعل والمنفعل، فيجب أن تحدّ هذه  
ليكون الكتاب تاماً . وأما ما سوى هذه فقد ذكرنا في كل كتاب منها ما يدل  
على حدّه إن كان محتاجاً إلى حد أو على غير معناه أن كان محتاجاً إلى شرح  
حاله والكشف لها، فأغنى ذلك عن ذكره في هذا الكتاب، إذ كنا إنما نذكر فيه  
حدود الأشياء المشكلة المضلة التي لم تعلم حدودها على حقائقها. وإذا كان  
الأمر على هذا فلنقل فيما بقى علينا من حدود ما ذكرنا من النفس وما بعدها.

فأقول: إن حدَّ النفس أنها كمال الجسم الذى هو آلة لها فى الفعل الصادر عنها. وهذا الحد لها من جهة التركيب وإنما ذكرناه لأنه مجانس لما ذكره أرسطاطاليس فيها إذ يقول: إن النفس كمال الجسم طبيعى إلى ذى حياة بالقوة. وقد بينا ما فى هذا الحد من الفساد والقبح ونقصان منزلة المعتقد له فى ردنا عليه كتابه فى النفس. ولكننا نضع الكتب لكل محب لهذه العلوم على طبقاتهم ليأخذ كل فهم بمقدار عقله ومبلغ فهمه. فلهذا ذكرنا هذا الحد فى النفس فأما الحد لها على رأينا فإنها جوهر إلهى محيى للأجسام التى لا يستها متّضع بملابسته إياها. فانظر يا أخى كم بين الحدين من الفرقان فى الدلالة على جوهر النفس.

وأما حدَّ الطبيعة فأنها من حيث الفعل مبدء حركة وسكون عن حركة، وأما من حيث الطباع فإنها جوهر إلهى متصل بالأجسام متّضع باتصاله بها غاية الاتضاع .

وأما الحركة فحدها غير تغير الهوىلى إما فى المكان أو الكيفية، والمتحرك هو المتغير فى أحد هذين من مكانه وكيفيته .

وأما حدَّ الحسن فأنه انطباع صور الأجسام فى النفس من طريق الآلات المعدة لقبول تلك الصور وتأديتها إلى النفس بمناسبة كل واحد من تلك الآلات لما تقبل عنه صورته. والمحسوس هو الصور المؤثرة فى آلات الحس أشباحها وأمثلتها .

وحدَّ الفاعل أنه المؤثر للأثار الشبيهة به لا بالكل وغير الشبيهة به بالكل. وحدَّ المنفعل أنه القابل فى ذاته الأثار والصور .

واعلم أنا قد استعملنا فى جميع ما كتبناه فى هذا الكتاب لفظة الحد على الإتساع، لأن ما ذكرناه فيه يجرى مجرى الجواهر العالية. والأشخاص الذاتية التى ترسم من خواصها إذ ليس لها أجناس ولا فصول تحد منها. ولكن لما كان غرضنا حصرها والإبانة عن جواهرها وكان الرسم بالخاصية والحد بالجنس والفصول مشتركين فى كشف حالتها للنفس وتحصيل صورها الجوهرية فى العقل أجرينا عليها إسما واحداً وهو اسم الحد، إذ كان الرسم تابعاً له ومُشَبِّهاً به .

وإذ قد بلغنا إلى هذا المكان فقد استوفينا غاية ما فى هذا القول بحسب الإيجاز والاختصار، فليكن آخر هذا الكتاب ولنتبعه بما بعده ، إن شاء الله تعالى. وبالله توفيقنا وهو حسبنا ونعم الوكيل .

تم كتاب الحدود بحمد الله وعونه وصلواته على سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً .

## من كتاب إخراج ما بالقوة إلى الفعل

### القول فى علم الصناعة

أما الأرواح فهى التى تدخل فى كل شئ فى العالم، وهى الزئبق والزرنيخ والكبريت والنوشادر والكافور والدهن من كل شئ. فهذه تطير على النار. ولها فروق فى ذواتها، وذلك أن هذه الأرواح الستة انقسمت ثلاثة أقسام: إما طائر غير محترق ممازج، وإما طائر غير محترق ولا ممازج، وإما طائر محترق ممازج، فأما الطائر الغير محترق والممازج فالزئبق وحده، وأما الطائر الغير محترق ولا ممازج فالنوشادر والكافور، وأما الطائر الممازج المحترق فالكبريت والزرنيخ والدهن وهذه وحدها نفوس لأن جميعها دهن.

وأما الأجساد فهى التى مقدار أرواحها وأجسامها واحد، فلا أجسامها مفارقة لأرواحها، ولا أرواحها مفارقة لأجسامها. لأن الكون والمزاج وصلا بين ذلك أتم وصلة، فكان عنها الشئ المسمى بالأجساد. وهذه الأجساد سبعة وهى المتطرفة، لأن كل ما امتزجت روحه بجسمه على اعتدال أن يكون جسدا فهو جسد. وهذه السبعة انقسمت كيفياتها كانقسام الكواكب حسب ما عرفناك فى صدر هذا الكتاب وفى غير موضع، وهذه السبعة هى: الرصاص الأسرب وهو بطبع زحل، والرصاص القلعى وهو بطبع المشترى، والحديد وهو بطبع المريخ، والذهب وهو بطبع الشمس، والنحاس وهو بطبع الزهرة، والفضة وهى بطبع القمر، والخاصينى وهو بطبع عطارد .

وأما أكثر الصنعوتين فإنهم يدخلون الزئبق مكان الخاصينى، وذلك أن الزئبق داخل فى عداد الأرواح لا فى عداد الأجساد والأجسام. وقد رمز على ذلك قوم من جهال الصناعة وقالوا إنه جسد وليس بجسد وهو طيار غير



طيار، وأمثال ذلك من رُذال كل ملة، فاعرف ذلك . واقنع - عافاك الله - بكتبنا هذه عن عبارتهم لعنهم الله وخزاهم . فإنه واجب على من قرأ شيئاً من كتبى أن لا يهمل شيئاً من العلوم ، بل الذى ينحوها له شيئاً منها على تحقيق فهو الفيلسوف التام. فاعلم ذلك وأعمل به تُصِيب الطريق، إن شاء الله تعالى .

وأما الأجسام فهى التى اختلطت فى معادنها من الأرواح والأجساد على غير مزاج. فهى تطير وتثبت لأن الطيار منها أرواحها والحال منها أجسادها، وإنما اختلفت فى التدبير لأنها غير ممتزجة، فاعلم ذلك. وهى المرقشيتا والمغنيسيا واللازورد والدوص وأمثال ذلك، فاعلم ذلك واعمل به. فهذا ما فى الأحجار من العلم.

فأما الماهية فأن تعلم أن الأصباغ للأرواح لأنها تحتاج من المكان لسعة أرواحها وقلة أجسادها إلى أكثر من مكانها. فإن درهما من الزئبق يغطى عشرين من النحاس حتى يصير كله أبيض بلونه، ودرهم من الكبريت يحرق درهمين من النحاس ويلون عشرين منه أزرق مستحيلاً عن لونه الطبيعى، ودرهم من الفضة والنحاس والذهب يغطى أكثر من مقداره. والأجسام التى هى مركبة من الأرواح والأجساد بعضها يغطىء وبعضها لا يغطى، هو جار مجرى الأجساد، فاعلم ذلك. فإننا لما علمنا أن الصبغ للأرواح لسعتها وأن الثبات والخلود للأجساد لأن الأجساد قيود للأرواح فمن أمكنه أن يدخل الأرواح على الأجساد أمكنه عمل الصنعة وإظهار الإكسير من القوة إلى الفعل.

وأما الأجسام التى ليست أرواحاً ولا أجساداً لكنها مركبة من الجميع - أعنى الأرواح والأجساد - فهى فى الحقيقة أقرب من كون الصنعة من الأرواح المفردة والأجساد المفردة .

وإذ قد أتينا على ما فى الأرواح والأجساد والأجسام وقام كل واحد  
منه فى حيزه وموضعه المرسوم فليكن ههنا آخر كلامنا فى الماهية ولناخذ فى  
الكيفية التى هى العمل. ونخرج من ذلك إلى ما يتلوه من السباعية ، إن شاء  
الله تعالى .

## القول فى الكيفية

الكيفية هى تدبير الصنعة الذى لولاه لم تكن وهى التدبير . وذلك ينقسم أقساماً: إما للأرواح وإما للأجساد، وإما للامتزاج، وإما للطرح. وهذه الأربعة هى الصنعة فى الحقيقة.

أما تدبير الأرواح فإن العلماء انقسموا فيه ثلاثة أقسام: فطائفة منهم ذكروا أن الأرواح يجب أن تصاعد وأن النار ولطف التصعيد يغسل أوساخها ودرنها ويصلحها للمزاج، وذكروا آلة التصعيد بالاثال والقناني وما أشبه ذلك. وأما الطائفة الثانية فقالت: بل بالغسل لا بالتصعيد، فإن تبيض هذه الأرواح عرضياً لا جوهرياً بدليل أنها متى ردت إلى النار عادت سوداً وصفراً وما أشبه ذلك. وإن الغسل يُخرج درنها وإن كان أبعد زماناً فتخرج طاهرة من غير دنس. لأن التصعيد يبيضها الناطف ولا سيما الممدود فى الهواء بالتبيض، والغسل يخرج دنسها عن آخره ولا ترجع سوداً عند النار. وطائفة ثالثة قالت: إن العلم فيهما جماً وذلك أنه يجب أن يُغسل ليخرج احتراقه، ثم يصاعد ليبيض، فإنه يكون نقياً مبيضاً فيكون الغسل والتصعيد قد جمعا فيه فائدة الغسل وتنقيته وفائدة التصعيد وبياضه، والشئ الذى من وجهين كما قدمنا فى علوم المنطق والعقل أفضل من الشئ الذى من جهة واحدة. فهذا ما فى الأرواح من التدابير، غير أنه ينبغى أن تعلم ههنا ما تقول: وهو أن غير المحترقة تحتاج من النار ما اشتد منها، وما احترق منها يحتاج من النار إلى ما لان ولطف أعنى فى التدبير. فهذا ما فى الأرواح. فإذا ظهرت احتاجت إلى عقد وحل، وجل الحمقى يقولون فى هذا الفصل: إنما نحتاج إلى حل وعقد. فهذا ما فى الأرواح .

فأما ما فى الأجساد من التدابير فإن العلماء رحمهم الله انقسموا فى  
الأجساد قسمين. وذلك أن منهم من قال يكلس الجسد حتى يلطف ويصير هباءً  
لا يحيى ولا يرجع إلى سِنخه الذى بدأ منه وعنه. والطائفة الثانية قالت: بل  
يلطف ويهيىء ويكون فيه بقية، فيكون الجسد بمعنى المنحل لا الهالك، فيكون  
فيه بقية للتعلق. فأما أهل الرأى الأول فإنهم اخرجوا الجسد الى الهلاك  
والرمادية، واحتاج إلى رطوبة تجمع بينه وبين الروح. وأما أهل الطائفة  
الثانية فأهل الحق إن لحق فأعمل به تلحق رشذك ، إن شاء الله تعالى.

## القول فى المزاج

المزاج يحتاج برهانه إلى شيئين استحدًا بحد كىفية واحدة، ويمكن أن تتساوى فى الكىفية. وما لم يستحد الشيئان بحد واحد وتجزء بجزء واحد لم يقع الإلتئام. ومتى لم تكن الكىفية - أعنى الصورة - واحدة لم يقع الإلتحام .

وأما الموازنة فهى مقدار تعلق الأعلى بالأسفل والأسفل بالأعلى، فاعلم ذلك. وبيان ذلك أنه إن كانت الروح طاهرة والجسد غير طاهر لم يكن عمل، ومتى كانت الأرواح طاهرة والأجساد لم تكن منحلة مائية هوائية لم يقع التئام ونظام فى التدبير و لم يكن مزاج .

فأما الكمية فالأشياء التى بينها نسبة و هى الأشياء التى يجب أن تكون واحدة، والتى لانسبة بينها، هى التى يقع فيها الخلف فى الكمية بينها، وهذا ما فى المزاج . فإذا اجتمعت الممتزجة على سبيل التئام وقبول بعضها لبعض فقد وجب كون الإكسير وصار ما تقدم طبيعة له، ويبقى عليك الطرح وقبل الطرح الصورة والكىفية. أما الصورة فإن يكون فى الأحمر أحمر فى غاية ما يكون مائلا إلى السواد من شدة حمرة، ويكون الطبع غالب الحرارة واليبوسة قليل البرودة والرطوبة. فهذا ما فى الأكسير الأحمر يكون شبيهها بالجليد بعضه متراكم على بعض كما مثلنا، حتى كأنه رُفع خالداً، حتى كأنه جسد كله صابغا كله. والأبيض كذلك إلا أنه يبيض شديد البياض ذاهب نحو الجليد فى اللون، بارد يابس شديد البرد واليبس قليل الحرارة والرطوبة، فى الحد والصفة مثل الأحمر، ومعكس الطبائع، ذائب حتى كأنه شمع. فهذا فما فى المزاج، والله أعلم بالصواب .



## أهم المصادر والمراجع

- ابن النديم : الفهرست، طبعة القاهرة القديمة 1948.
- أبو بكر محمد بن زكريا : سر الأسرار، مخطوط دار الكتب المصرية، رقم  
الرازي 69، طبعة تيمور.
- جابر بن حيان : كتاب إخراج ما في القوة إلى الفعل، مخطوط،  
دار الكتب المصرية رقم 3 كيمياء وطبيعة.
- \_\_\_\_\_ : كتاب الإيضاح، تحقيق هولميارد، باريس  
1928.
- \_\_\_\_\_ : كتاب البحث، مخطوط مكتبة جاز الله باستانبول  
رقم 1721.
- \_\_\_\_\_ : كتاب الخواص الكبير، مخطوط دار الكتب  
المصرية رقم 38 حكمة.
- \_\_\_\_\_ : كتاب السبعين، مخطوط دار الكتب المصرية  
رقم 2731.
- \_\_\_\_\_ : مختار رسائل جابر بن حيان، عني بنشرها بول  
كراوس، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1354هـ.
- حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار  
الكتب العلمية بيروت 1992.
- دكتور خالد حربي : أبو بكر الرازي حجة الطب في العالم، ط  
الثانية، دار الوفاء، الإسكندرية، 2006.
- \_\_\_\_\_ : علوم حضارة الإسلام ودورها في الحضارة  
الإنسانية، سلسلة كتاب الأمة، قطر 2004.

- دكتور زكى نجيب : جابر بن حيان، سلسلة الأعلام، الهيئة المصرية  
محمود العامة للكتاب، القاهرة، 1975.
- دكتور على سامرالنشار : مناهج البحث عند مفكرى الإسلام، واكتشاف  
المنهج العلمى فى العالم الإسلامى، دار النهضة  
العربية 1984.
- الققطى : إخبار العلماء بأخبار العلماء، طبعة القاهرة  
1326هـ.
- الميرزا محمد باقر : روضات الجنان فى أحوال العلماء والسادات،  
الموسوى الأصبهاني تحقيق أسد الله اسماعيليان، طهران بدون تاريخ.
- Farroh, E.R : The Chemical composition of some  
Ancient Arabic Caley. Bull of the  
college of science 1965.
- Hohmyard , E.J : Chemistry to the time of Dalton,  
London 1965
- : Alchemy "Islamic Alchemy"  
Pelicam Books 1957.
- Sarton. G, : Introduction to the History of  
science 3 vols. Baltimore 1929.



## فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع
3	قرآن كريم .....
5	مقدمة .....
9	الفصل الأول : نشأة جابر والبنية المعرفية في فكره .....
	الفصل الثاني : مؤلفات جابريين الوهم والحقيقة وبنية المدرسة العلمية .....
21	.....
33	الفصل الثالث : منهج البحث العلمي .....
41	الفصل الرابع : إنجازات جابر بن حيان وأثرها في الإنسانية .....
	الفصل الخامس : امتداد مدرسة جابر بن حيان حتى العصر الحديث .....
59	.....
71	الفصل السادس: نتائج الدراسة .....
83	ملحق : قطوف من نصوص جابر بن حيان .....
107	أهم المصادر والمراجع .....
109	فهرست الكتاب .....
111	أعمال الدكتور خالد حربى .....



.

## أعمال الدكتور خالد حربى

- 1- بُرء ساعة : للرازى (دراسة وتحقيق)، دار ملتقى الفكر، الإسكندرية 1999، الطبعة الثانية، دار الوفاء 2005 .
- 2- نشأة الإسكندرية وتواصل : الطبعة الأولى، دار ملتقى الفكر، الإسكندرية نهضتها العلمية. 1999 .
- 3- أبو بكر الرازى حجة الطب فى : الطبعة الأولى، دار ملتقى الفكر، الإسكندرية العالم 1999، الطبعة الثانية، دار الوفاء، الإسكندرية 2006 .
- 4- خلاصة التداوى بالغذاء : الطبعة الأولى ، دار ملتقى الفكر الإسكندرية والأعشاب 1999- الطبعة الثانية 2000، توزيع مؤسسة أخبار اليوم ، الطبعة الثالثة دار الوفاء ، الإسكندرية 2006 .
- 5- الأسس الاستمولوجية لتاريخ : دار الثقافة العلمية، الإسكندرية 2001 ، الطبعة الثانية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2005.
- 6- الرازى فى حضارة العرب : (ترجمة وتقديم وتعليق)، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية 2002 .
- 7- سر صناعة الطب : للرازى (دراسة وتحقيق)، دار الثقافة العلمية الإسكندرية 2002 ، الطبعة الثانية، دار الوفاء، الإسكندرية 2005 .
- 8- كتاب التجارب : للرازى (دراسة وتحقيق )، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية 2002 ، الطبعة الثانية دار الوفاء الإسكندرية 2005 .

- 9- جراب المجربات وخزانة : للرازي (دراسة وتحقيق وتنقيح)، دار الثقافة الأطباء العلمية، الإسكندرية 2000، الطبعة الثانية دار الوفاء الإسكندرية 2005.
- 10- المدارس الفلسفية في الفكر : الطبعة الأولى منشأة المعارف، الإسكندرية الإسلامية (1) "الكندى والفارابي" 2003 . الطبعة الثانية ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية 2009.
- 11- دراسات في الفكر العلمي : الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية المعاصر (1) علم المنطق الرياضي 2003 .
- 12- دراسات في الفكر العلمي : الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية المعاصر (2) الغائية والحتمية 2003 .
- وأثرهما في الفعل الإنساني
- 13- دراسات في الفكر العلمي : الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية المعاصر (3) إنسان العصر بين البيولوجيا والهندسة الوراثية . 2003 .
- 14- الأخلاق بين الفكرين : الطبعة الأولى منشأة المعارف، الإسكندرية الإسلامية والغربي 2003. الطبعة الثانية ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية 2009.
- 15- العولمة بين الفكرين الإسلامي والغربي "دراسة مقارنة" : الطبعة الأولى ، منشأة المعارف ، الإسكندرية 2003 ، الطبعة الثانية دار الوفاء ، الإسكندرية 2007 ، الطبعة الثالثة ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية 2010 .
- 16- العولمة وأبعادها . : مشاركة في كتاب "رسالة المسلم المعاصر في حقبة العولمة" ، الصادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر - مركز البحوث والدراسات ، رمضان 1424 ، أكتوبر - نوفمبر 2003.

- 17- الفكر الفلسفى اليونانى وأثره : الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية  
فى اللاحقين 2003 ، الطبعة الثانية ، المكتب الجامعى  
الحديث ، الإسكندرية 2009.
- 18- ملامح الفكر السياسى فى : الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2003،  
الإسلام الطبعة الثانية، المكتب الجامعى الحديث،  
الإسكندرية، 2009.
- 19- The Role Of Orientalization in the Dar Al – Sukafa Al –  
West's Attitude to Islam and its Alamia, Alexandria, 2003  
Civiliation.
- 20- شهيد الخوف الإلهى ، الحسن : الطبعة الأولى دار الوفاء، الإسكندرية 2003 ،  
البصري الطبعة الثانية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006 .
- 21- دراسات فى التصوف : الطبعة الأولى دار الوفاء ، الإسكندرية 2003.  
الإسلامى
- 22- بنية الجماعات العلمية العربية : الطبعة الأولى دار الوفاء، الإسكندرية 2004 ،  
الإسلامية الطبعة الثانية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2010.
- 23- نماذج لعلوم الحضارة : الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية  
الإسلامية وأثرها فى الآخر 2005 .
- 24- مقالة فى النقّرس : الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2005،  
للرازي (داسة وتحقيق). الطبعة الثانية ، المكتب الجامعى الحديث ،  
الإسكندرية 2009.
- 25- التراث المخطوط: رؤية فى : الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2005.  
التصير والفهم (1) علوم الدين  
نحجة الإسلام نبي حامد الغزالي.

- 26- التراث المخطوط: رؤية فى : الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2005.  
التبصير والفهم (2) المنطق.
- 27- علوم حضارة الإسلام ودورها : الطبعة الأولى ، سلسلة كتاب الأمة ، قطر  
فى الحضارة الإنسانية 2005.
- 28- علم الحوار العربى الإسلامى : الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006.  
"آدابه وأصونه".
- 29- المسلمون والآخر حوار : الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية  
وتفاهم وتبادل حضارى . 2006. الطبعة الثانية ، المكتب الجامعى  
الحديث، الإسكندرية 2009.
- 30- الأسر العلمية ظاهرة فريدة : الطبعة الأولى ، دار الوفاء، الإسكندرية 2006،  
فى الحضارة الإسلامية . الطبعة الثانية ، المكتب الجامعى الحديث ،  
الإسكندرية 2009.
- 31- العبث بتراث الأمة فصول : الطبعة الأولى ، الإسكندرية 2006.  
متوالية (1) .
- 32- العبث بتراث الأمة (2) مائية : الطبعة الأولى ، الإسكندرية 2006.  
الأثر الذى فى وجه القمر للحسن بن  
الهيثم فى الدراسات المعاصرة .
- 33- منهاج العابدين لحجة الإسلام : الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2007 ،  
الإمام أبى حامد الغزالى (دراسة الطبعة الثانية ، المكتب الجامعى الحديث،  
وتحقيق) الإسكندرية 2010.
- 34- إبداع الطب النفسى العربى : الطبعة الأولى ، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية  
الإسلامى ، دراسة مقارنة بالعلم ، الكويت 2007.  
الحديث .

- 35- مخطوطات الطب والصيدلة : الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية بين الإسكندرية والكويت 2007.
- 36- مقدمة فى علم "الحوار" : الطبعة الأولى ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسلامى الإسكندرية 2009.
- 37- تاريخ كيمبردج للإسلام ، الطبعة الأولى، المكتب الجامعى الحديث ، العلم (ترجمه وتقديم وتعليق) الإسكندرية 2009.
- 38- علوم الحضارة الإسلامية : الطبعة الأولى ، المكتب الجامعى الحديث ، ودورها فى الحضارة الإنسانية الإسكندرية 2009.
- 39- دور الحضارة الإسلامية فى : الطبعة الأولى ، المكتب الجامعى الحديث ، حفظ تراث الحضارة اليونانية (1) الإسكندرية 2009. أبقراط "إعادة اكتشاف لمؤلفات مفقودة".
- 40- دور الحضارة الإسلامية فى : الطبعة الأولى ، المكتب الجامعى الحديث ، حفظ تراث الحضارة اليونانية (2) الإسكندرية 2009. جالينوس "إعادة اكتشاف لمؤلفات مفقودة".
- 41- مدارس علم الكلام فى الفكر الإسلامى المعتزلة والأشاعرة : الطبعة الأولى ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية 2009.
- 42- The Impact of sciences of Islamic civilization on Human Civilization Al – Maktab AL – Gamaau Al – Hadis, Alexandria. 2010
- 43- أعلام الطب فى الحضارة الإسلامية (1) تياذوق، إعادة اكتشاف نصوص مجهولة ومفقودة : الطبعة الأولى، دار الوفاء الإسكندرية 2010.

- 44-أعلام الطب فى الحضارة :الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.  
الإسلامية (2) ماسرجويه البصرى،  
إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة  
ومفقودة
- 45-أعلام الطب فى الحضارة : الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.  
الإسلامية (3) عيسى بن حكم،  
إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة  
ومفقودة
- 46-أعلام الطب فى الحضارة :الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.  
الإسلامية (4) عندوس، إعادة  
اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة
- 47-أعلام الطب فى الحضارة :الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.  
الإسلامية (5) الساهر، إعادة  
اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة
- 48-أعلام الطب فى الحضارة :الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.  
الإسلامية (6) آل بختيشوع، إعادة  
اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة
- 49-أعلام الطب فى الحضارة : الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية  
الإسلامية (7) الطبرى، إعادة 2010.  
اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة
- 50-أعلام الطب فى الحضارة :الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.  
الإسلامية (8) يحيى بن مسويه، إعادة  
اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة



- 51-أعلام الطب فى الحضارة :الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.  
الإسلامية (9) حنين بن اسحق، إعادة  
اكتشاف لنصوص مجهولة ومفقودة
- 52-أعلام الطب فى الحضارة :الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2010.  
الإسلامية (10) اسحق بن حنين،  
إعادة اكتشاف لنصوص مجهولة  
ومفقودة
- 53- طب العيون فى الحضارة :الطبعة الأولى المكتب الجامعى الحديث ،  
الإسلامية "أسس واكتشافات" الإسكندرية 2010.
- 54- علم الحوار الإسلامى : كتاب المجلة العربية العدد412 المملكة العربية  
السعودية ابريل 2011
- 55-الطب النفسى فى الحضارة : الطبعة الأولى المكتب الجامعى الحديث ،  
الإسلامية "تنظير وتأسيس وإبداع" الإسكندرية 2011.
- 56- دور الحضارة الإسلامية فى : الطبعة الأولى ، المكتب الجامعى الحديث ،  
حفظ تراث الحضارة اليونانية (4) الإسكندرية 2011.  
روفس الأفسسى، إعادة اكتشاف  
لمؤلفات مفقودة
- 57- دور الحضارة الإسلامية فى : الطبعة الأولى ، المكتب الجامعى الحديث ،  
حفظ تراث الحضارة اليونانية (5) الإسكندرية 2011.  
ديسقوريدس، إعادة اكتشاف  
لمؤلفات مفقودة
- 58- الجوانبه ، دراسة فى فكر : الطبعة الأولى ، المكتب الجامعى الحديث ،  
عثمان أمين الإسكندرية 2012.

- 59- طب الباطنة فى الحضارة : الطبعة الأولى ، الطبعة الأولى،المكتب الإسلامية تأسيس وتأصيل" الجامعى الحديث. الإسكندرية 2012.
- 60- أسس النهضة العلمية فى الطبعة الأولى،دار الوفاء، الاسكندرية2012. الحضارة الإسلامية
- 61- مبادئ النظام السياسى فى الطبعة الأولى، المكتب الجامعى الحديث، الاسلام "تأصيل وتفكير" الاسكندرية2012.
- 62- طب الأسنان فى الحضارة الطبعة الأولى،المكتب الجامعى الإسلامية إبداع ممتد إلى العلم الحديث.الاسكندرية2012. الحديث
- 63- طب الأنف والأذن والحنجرة الطبعة الأولى،المكتب الجامعى فى الحضارة الإسلامية الحديث،الاسكندرية2012.
- 64- أسس الرياضيات الحديثة فى الطبعة الأولى، المكتب الجامعى الحديث، الحضارة الإسلامية الاسكندرية 2012.
- 65- جابر بن حيان: مدرسة : الطبعة الأولى، المكتب الجامعى الحديث، كيميائية أسست العلم الحديث الإسكندرية، 2013.